# تنبيهات الإمام ابن كثير

## على قضايا ومسائل أوردها الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير

الدكتور/ شايع بن عبده بن شايع الأسمري
قسم التفسير ـ كلية القرآن الكريم ـ الجامعة الإسلامية

خطبة البحث :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١)، ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٢).

والصلاة والسلام على النبي الأمي، المكتوب في التوراة والإنجيل، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويحلّ الطيبات، ويحرم الخبائث، ويضع الآصار والأغلال .

ورضي الله تعالى عن الصحابة الأخيار الموصوفين بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ (٣).

ورحم الله من جاء بعدهم الذين ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤).

---

(١)سورة سبأ، الآية : ١ .

(٢)سورة العلق، الآية : ٤، ٥ .

(٣)سورة الفتح، الآية : ٢٩ .

(٤)سورة الحشر، الآية : ١٠ .

أما بعد : فقد رأيت للإمام ابن كثير تنبيهات وتعليقات على قضايا ومسائل أوردَهـا الإمـام الفخـر الرازي في التفسير الكبير، بعد أن نبهني عليها بعض الأساتذة الفضلاء، إلا أنه ذكر أنها كثيرة، فبعد البحث والدراسة تبيّن أنها قليلة، ومـع قلـتها فهي جيدة، وتستحق الجمع والدراسة والإظهار، فقمت بذلك، لأسـباب سـيأتي ذكـرها - إن شاء الله تعالى - تفصيلاً، وجعلت عنوانها : **((تنبيهات الإمام ابن كثير على قضايا ومسائل أوردَها الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير))** .

وأنا العبد الفقير إلى المولى الكبير أسأله أن يجعلها مقبولة عنده، وأن يكتب لها القـبول بـين طلـبة العلم . وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**مقدمة البحث ( وتشمل ما يلي ) :**

**أ ــ أهمية الموضوع** : تأتي أهمية هذا الموضوع من عدة جوانب :

**مــنها** : أن الإمــام فخر الدين الرازي قد جمع في كتابه أشياء كثيرة تحتاج إلى مراجعة وتمحيص .

**ومــنها** : أن الإمام ابن كثير من الباحثين المنصفين، فتنبيهاته ومراجعته لأقوال غيره جديرة بالدراسة والإظهار .

**ومــنها** : أن الإمام ابن كثير قد وُفق في كل هذه التنبيهات إلاّ واحداً ــ وهو العاشر ــ وهذا من وجهة نظري؛ إذْ ربما رأى غيري خلاف هذا .

**ومنها** : أن المؤلفات التي نُبِّهَ بها أو استُدرك بها على التفسير الكبير(١) مفقودة - في حدّ علمي - من عالم الطباعة، وربما من عالم المخطوطات .

**ومــنها** : أن من هذه التنبيهات تنبيهات على قضايا خطيرة جدًّا، رأى الإمام الــرازي ــ عفــا الله عــنه ــ جوازها مثل قوله : بجواز تعلّم السحر، وموافقته لأهل الصرفة في مسألة إعجاز قصار سور القرآن الكريم .

**ب ــ خطة البحث** : رأيت أن هذا البحث يصلح أن يكون في مقدمة وفصلين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع ( وتفصيل ذلك فيما يلي ) :

**١ ــ المقدمة:** وتشمل : أ ــ أهمية الموضوع، ب ــ خطة البحث، جــ ــ المنهج المتبع في إخراج البحث.

**٢ ــ الفصــل الأول : تــرجمة موجزة للإمامين الرازي، وابن كثير** ( وفيه مبحثان ) :

**المبحث الأول** : ترجمة موجزة للإمام الرازي ( تتضمن ما يلي ) :

---

(١)انظر الإكسير في علم التفسير، ص ( ٢٦ ) فقد ذكر الطوفي شيئــاً في هذا .

١ ــ اســم الإمام الرازي ونسبه ٢ ــ مولد الإمام الرازي ونشأته ٣ ــ بعض شـيوخ الإمــام الرازي ٤ ــ بعض تلاميذ الإمام الرازي ٥ ــ مذهب الإمام الـرازي في الأصول والفروع ٦ ــ أقوال العلماء في الإمام الرازي ٧ ــ بعض آثار الإمام الرازي العلمية ٨ ــ شعر الإمام الرازي ٩ ــ وفاة الإمام الرازي .

**المبحث الثاني** : ترجمة موجزة للإمام ابن كثير ( تتضمن ما يلي ) :

١ ــ اســم الإمــام ابن كثير ونسبه ٢ ــ مولد الإمام ابن كثير ونشأته ٣ ــ بعــض شيوخ الإمام ابن كثير ٤ ــ بعض تلاميذ الإمام ابن كثير ٥ ــ مذهب الإمام ابن كثير في الأصول والفروع٦ ــ ثناء العلماء على الإمام ابن كثير ٧ ــ بعض آثار الإمام ابن كثير العلمية ٨ ــ شعر الإمام ابن كثير ٩ ــ وفاة الإمام ابن كثير .

٣ ــ **الفصــل الثاني : تنبيهات الإمام ابن كثير على قضايا ومسائل أوردَها الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير** . ويؤتى بهذا الفصل على حسب مــا يبدأ به المفسرون ــ ومنهم ابن كثير ــ من المقدمة، ثم الفاتحة، ثم سورة البقرة، ويوضع أمام كل تنبيه رقم مسلسل يبدأ بــ( ١ ) وينتهي بحسب عدد التنبيهات .

٤ ــ **الخاتمة** :تشتمل على أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث .

٥ ــ **فهرس المصادر والمراجع** .

**جــ ــ المنهج المتبع في إخراج هذا البحث :**

١ ــ قــرأت تفســير الإمام ابن كثير،ودوّنت الصفحات التي نبّه فيها على قضايا ومسائل أوردَها الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير، ثم رجعت إلى التفسير الكبير للتحقق من وجود الموضع المنبَّه عليه .

٢ ــ نقلت من التفسير الكبير القول، أو المسألة المنبّه عليها، وحاولت الاقتصار على ما لا بدّ منه، ثم عطفت على نقل كلام الرازي بذكر تنبيه ابن كثير، واقتصرت في النقل على الشيء الذي لا بد منه، وقد لا أُعيد ذكر كلام الرازي في أثناء نقل التنبيه، وإنما أكتفي بقولي : قال الإمام ابن كثير بعد أن أورد كلام الرازي السابق نقله ... ثم أذكر التنبيه بحروفه .

٣ ــ إذا ذكر الرازي كلامــاً من عنده، أو نقله عن غيره، ونبَّه عليه ابن كثير، ــ وفي عبــارة الإمامين إجمال واختصار ــ حاولت شرح وبيان مقصود كل منهما، وما لا يحتاج إلى شرح وبيان أسكت عليه .

٤ ــ إذا وجدت من يذكر القول المنبَّه عليه ــ من المفسرين الذين عاشوا قبل الرازي أو بعده ــ أوردت كلامه بحروفه، وقد أُشير إليه إشارة من غير نقل، وكذلك لو وجدت من يتفق مع ابن كثير في التنبيه ذكرت ذلك .

٥ ــ إذا نبَّه الإمام ابن كثير على ضعف قول في التفسير أورده الإمام الرازي في تفسيره، أو قال به، وهناك أقوال أُخر، أشرت إلى الأقوال الأُخر، وبينت أولاها بالصواب في تفسير الآية، وكذا إذا أشار أحد الإمامين أو كلاهما لبعض الأقوال دون استيعاب لذكرها .

٦ ــ بينت ــ في كل التنبيهات ــ رأيي في المسألة المنبَّه عليها، حسبما ظهر لي من الأدلّة، ومن أقوال العلماء، دون ميل إلى نصرة أحد الإمامين بالهوى؛ إذ قد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [1].

٧ ــ بينت مواضع الآيات الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشــية ــ يســتوي في ذلك الآيات التي وقع فيها التنبيه وغيرها ــ

(١)سورة ص، الآية : ٢٦ .

وخـــرجت الأحاديـــث والآثار من مصادرها المعتمدة، مع بيان درجة الحديث، إن لم يكن في الصحيحين، أو أحدهما، و لم أشأ إطالة الحواشي بذكر كل المصادر - أو حتى أكثرها - التي خرجت الحديث .

٨ ــ ذكرت ترجمة موجزة لكل من الإمامين الرازي وابن كثير أوردت فيهما ما لا بد منه في هذه الناحية، وأعرضت عن البسط في ذلك لقصر البحث من ناحية، ولأن هناك دراسات موسعة قد أُجريت حول الإمامين .

٩ ــ شـــرحت الغـــريب، وعرّفت ببعض البلدان والأماكن، وترجمت لبعض الأعـــلام، وضبطت بعض الكلمات بالشكل، وهذا كله فيما رأيت أنه يحتاج إلى ذلك، وما لا، فلا .

١٠ ــ ذكرت كل التنبيهات الموجهة من الإمام ابن كثير إلى مواضع من أوّل التفسير الكبير يستوي في ذلك ما يراه الإمام الرازي ويقول به، أو ما نقله في تفســـيره مجـــرّد نقل، أو ذكره و لم يبيِّن موقفه منه؛ فبهذا تكون هذه التنبيهات أعمّ من استدراك عالمٍ على آخر؛إذ الاستدراك لا يكون إلاّ في الشيء الذي يذهب إليه المستدرَك عليه ويدافع عنه .

١١ ــ طريقتي في التعليق على هذه التنبيهات أنني ــ أحيانـــًا ــ أنص على أن التعلـــيق على هذه المسألة من وجوه، ثم أذكرها، وأحيانـــًا أبدأ بالتعليق علـــى التنبـــيه من غير إشعار القارئ بذلك، اتكالاً على فهمه وتمييزه، وأحـــيانـــًا أبـــدأ التعلـــيق بقولي : البحث في هذه المسألة من وجوه، وأحيانـــًا أبدأ ببيان رأيي في التنبيه .

١٢ ــ اعـــتمدت في نقل كلام الرازي وتنبيه ابن كثير على نسختين، إحداهما للتفسير الكبير، والأخرى لتفسير ابن كثير، ذكرت طبعتيهما في المراجع،

وإذا أشــكل شـــيء في الكلام المنقول رجعت إلى نسخ أُخرى مطبوعة فأخــذت مــنها ما يستقيم الكلام به، ونبهت على ذلك في الحواشي، وقابلت النصوص المنقولة عن التفسيرين على أصلهما المشار إليه، للتأكد مــن سلامة النقل . وقد حاولت الاعتماد على نسخ محققة، إلا أنني لم أفلح في ذلك؛ لأن التفسير الكبير لم أقف له على نسخة محققة تحقيقــاً علميــاً، وأما تفسير ابن كثير فيوجد ما كُتب عليه عبارة "تحقيق"، لكن ما وقفت عليه منها هي عند التحقيق ليست بمحققة .

١٣ـــ وضعت خــاتمة في نهــاية البحث دوّنت فيهــا أهم النتائج التي ظهرت لي خلال هذا البحث .

١٤ ـــ وضعت فهرساً للمصادر والمراجع .

هذه أهم الركائز التي سرت عليها في إخراج هذا البحث، وقد اجتهدت في السلامة من الزلل، ولكنني على يقين من وجود ذلك، فرحم الله تعالى مَن قرأه فصفح وستر عمّا يمكن، ونبهني على ما لا بد منه .

وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## الفصـــل الأول : تـــرجمة موجزة للإمامين الرازي وابن كثير (وفيه مبحثان) :

### المبحث الأول :ترجمة موجزة للإمام فخر الدين الرازي (تتضمّن ما يلي) :

**١ ــ اسم الإمام الرازي ونسبه** : هو محمد بن عمر بن الحسين بن حسن ابن علي القرشي التيمي البكري(١)، رازي المولد(٢)، طبرستاني الأصل(٣). يقال : إنه من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٤).

**٢ ــ مـــولد الإمام الرازي ونشأته** : ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة(٥)، وقـــيل : ثـــلاث وأربعين(٦). وذكر بعضهم أن ذلك في الخامس والعشرين من رمضان(٧).

وأما نشأته : فالظاهر أنه نُشئ على طلب العلم منذ صغره؛ لأن والده عمر بن الحسين كان من علماء الري المعدودين في زمانه، بل كان خطيب هذا البلد، حتى إن الرازي يقال له : ابن خطيب الري(٨).

---

(١)انظـــر طبقات المفسرين للسيوطي، ص (١١٥)، وللداودي (٢/٢١٥)، وللأدنه وي، ص (٢١٣) وترجمة الإمام الرازي في مراجع كثيرة منها : سير أعلام النبلاء (٢١/٥٠٠)، والبداية والنهاية (١٣/ ٥٥)، والعـــبر (٣/١٤٢)، والكامل في التاريخ (١٠/٣٥٠)، ومفتاح السعادة (٢/١٠٢)، وميزان الاعتدال (٣/٣٤٠)، ولسان الميزان (٤/٤٢٦)،والأعلام (٦/٣١٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١)، وتـــاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦٠١ـــ٦١٠ ص (٢١١)، وشذرات الذهب (٥/٢١)، والنجوم الزاهرة ( ٦/١٩٧ )، ووفيات الأعيان ( ٤/٢٤٨ )، والوافي بالوفيات ( ٤/٢٤٨ )، ومرآة الجنان ( ٤/٧ ) .

(٢)انظر وفيات الأعيان ( ٤/٢٤٨ )، ومرآة الجنان ( ٤/٧ ) .

(٣)انظر العبر ( ٣/١٤٢ )، وطبقات المفسرين للداودي ( ٢/٢١٦ )،ومرآة الجنان ( ٤/٧ ) .

(٤)انظر طبقات المفسرين للداودي ( ٢/٢١٦ ) .

(٥)كـــثير مـــن المراجع على هذا . انظر السير ( ٢١/٥٠١ )، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص ( ١١٥ )، ومرآة الجنان ( ٤/١١).

(٦)انظر الكامل ( ١٠/٣٥٠ )، ومرآة الجنان ( ٤/١١ ) .

(٧)انظر وفيات الأعيان ( ٤/٢٥٢ ) .

(٨)انظر الكامل ( ١٠/٣٥٠ )، والبداية والنهاية ( ١٣/٥٥ ) .

٣ ــ **بعض شيوخ الإمام الرازي** : من شيوخ الإمام الرازي والده عمر بن الحسين درس عليه بعض العلوم[١]، واشتغل على الكمال السمناني مدة [٢]، وكذلك درس على المجد الجيلي[٣]، ويقال : إنه درس على الطبسي صاحب كتاب "الحائز في العلم الروحاني" [٤].

وشيوخ الإمام الرازي قليل بالنسبة إلى العلوم التي برز فيها، فلعلّ اطلاعه الواسع أغناه عن كثرة الأساتذة .

٤ ــ **بعض تلاميذ الإمام الرازي** : ذكر المترجمون أنّ الرازي إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء وغيرهم[٥]، وقد نصت كتب التراجم على طائفة من أسماء تلاميذه، نذكر منهم :

محمد بن الحسين الأرموي[٦]، والقطب المصري[٧]، وزين الدين الكشي[٨]، وشهاب الدين النيسابوري[٩]، وشمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي[١٠].

---

(١)انظر السير (٢١/٥٠١) .

(٢)انظر مرآة الجنان ( ٤/٨ )، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/٨٦).

(٣)انظر عيون الأنباء ( ٣/٣٤ )، ووفيات الأعيان ( ٤/٢٥٠ ) .

(٤)انظر الوافي بالوفيات ( ٤/٢٤٩ ) .

(٥)انظر مفتاح السعادة (٢/١٠٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/٨٧).

(٦)انظر تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦٠١ــ٦١٠ ص ( ٢١٦ ) .

(٧)انظر عيون الأنباء ( ٣/٣٥ ) .

(٨)انظر المرجع نفسه ( ٣/٣٤، ٣٥ ) .

(٩)انظر المرجع نفسه ( ٣/٣٤، ٣٥ ) .

(١٠)انظر تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦٠١ــ٦١٠ ص ( ٢١٦ ) .

## ٥ ـ مذهب الإمام الرازي في الأصول والفروع :

**أمـــا في الأصول** (العقيدة) فإن الرازي قد خاض في علم الكلام والفلسفة حتى حيّر الباحثين، هل يعدونه من الفلاسفة، أم من المتكلمين، أم أنه متكلم متفلسف، أم أنـــه مرّ بمراحل في حياته[١] ؟ والواضح البيّن أنه على مذهب الأشاعرة [٢]ـــ في الجملـــة ــ[٣]وأحـــد شيوخهم المقدمين، وخير شاهد على أشعريته مؤلفاته، مثل "الأربعين في أصول الدين" و "أساس التقديس" و "معالم أصول الدين"، وغيرها . وتشـــير كـــتب التراجم إلى أن الرازي قد دخل في شيء من التصوف[٤]، وصفه بعـــض الباحثين المتأخرين بأنه تصوف فلسفي[٥]، وقد تكلم في كتبه بما يدلّ على صـــحّة وصفه بذلك، ومن ذلك كلامه على قصة موسى ـــ عليه السلام ـــ مع الخضر[٦].

**وأما في الفروع** (الفقه) فهو على مذهب الإمام الشافعي، وصفه المترجمون له بذلك[٧]، وأدخله علماء الشافعية في طبقاتهم[٨].

---

(١)انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ( ٦٥٧/٢ ) .

(٢)انظر الوافي بالوفيات ( ٢٤٨/٤ )، والمرجع السابق ( ٦٧٥/٢ ).

(٣)إنّمـــا قلت : في الجملة؛ لأنّ له اجتهادات تخالف مذهب الأشاعرة . انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ( ٦٧٥/٢، ٦٧٦ ).

(٤)انظر مفتاح السعادة ( ١٠٣/٢ )، وطبقات الشافعية الكبرى (٨٦/٨).

(٥)انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ( ٦٦٨/٢ ) .

(٦)انظر التفسير الكبير ( ١٣٦/٢١ ) .

(٧)انظـــر الكامـــل في التاريخ ( ٣٥٠/١٠ )، والعبر ( ١٤٢/٣ )، والبداية والنهاية ( ٥٥/١٣ )، ووفيات الأعيان ( ٢٤٩/٤ ) .

(٨)انظر طبقات الشافعية الكبرى ( ٨١/٨ )، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ( ٦٥/٢ ) .

٦ ــ **أقــوال العلماء في الإمام الرازي** : أثنت طائفة غير قليلة من العلماء علــى الإمام الرازي وبالغت في الثناء عليه، ومن هؤلاء تاج الدين السبكي[١]، وابن خلكان[٢]، والداودي[٣]، وطاش كبرى زادة [٤]، ونقدته طائفة أخرى من العلمـــاء بسبب أشياء نُقلت عنه، ذكر الذهبي وابن كثير طرفـًا منها[٥]، وممن نقده الطوفي الصرصري المتوفى سنة ٧١٦هــ[٦]، وابن جبير الرحالة[٧]، وسراج الدين المغربي[٨]، وربما بالغ بعض هؤلاء في نقده .

والحق وسط ــ في هذا الإمام ــ بين الفريقين، وقد اتبعه الإمامان الذهبي[٩] وابن كثير[١٠].

وكلام الإمام الرازي في آخر حياته يدل على أنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر .

٧ ــ **بعض آثار الإمام الرازي العلمية** : مؤلفات الإمام الرازي كثيرة جدًا، لا يمكـــن حصـــرها في هذه العجالة، وقد استغرب بعض الباحثين المعاصرين اخـــتلاف العلماء في أسماء مؤلفات الرازي، وفي عددها، كما أنه انتقد بعض

---

(١)انظر طبقات الشافعية الكبرى (٨/٨١ـــ٩٦) .

(٢)انظر وفيات الأعيان ( ٤/٢٤٩ ) .

(٣)انظر طبقات المفسرين (٢/٢١٦) .

(٤)انظر مفتاح السعادة ( ٢/١٠٢ ) .

(٥)انظر تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦٠١ـــ٦١٠، ص ( ٢١٥، ٢١٦) ،والبداية والنهاية ( ١٣/ ٥٥ ) .

(٦)انظر الإكسير في علم التفسير، ص ( ٢٦ ) .

(٧)انظر الوافي بالوفيات ( ٤/٢٥١ ) .

(٨)انظر الإكسير، ص ( ٢٦ )، ولسان الميزان ( ٤/٤٢٧، ٤٢٨ ) .

(٩)انظر السير ( ٢١/٥٠٠، ٥٠١ ) .

(١٠)انظر البداية والنهاية ( ١٣/٥٥، ٥٦ ) .

الباحثين المعاصرين؛ لأنه نسب إلى الرازي ما لم يكن من تأليفه[(١)]. وأقول: الأخير مسلم، وأما الاستغراب فلا داعي له؛ لأن الاختلاف في أسماء المؤلفات واقع في مؤلفات من هو دون الرازي في التأليف، فكيف لا يقع في مؤلفات الرازي على كثرتها، وأما اختلاف العلماء في عدد مؤلفاته فإن كلاً ذكر ما بلغه ووقف عليه أثناء ترجمته و لم يجزم أحد منهم أن هذا العدد متحتم، ومن ذكر القليل فلعله يعني ما اشتهر بين الناس، ومن ذكر الكثير فكثرة العلوم التي دخل فيها الرازي تؤيد هذه الكثرة، على أن طائفة منها قد يكون رسالة صغيرة.

وإليك قائمة بأسماء مؤلفاته المطبوعة[(٢)]:

١ـ مفاتيح الغيب[(٣)] ويقال له (التفسير الكبير)[(٤)] ٢ ـ معالم أصول الدين ٣ ـ لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ٤ـ محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ٥ ـ المسائل الخمسون في أصول الكلام٦ ـ المحصول في علم أصول الفقه ٧ ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ٨ ـ مناظرات الفخر الرازي ٩ ـ كتاب الأربعين في أصول الدين

---

(١)انظر ما قاله الدكتور/ بكري شيخ في مقدمة تحقيقه لكتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، ص (١٤، ١٥).

(٢)نص على طبع جميع هذه المؤلفات الدكتور بكري شيخ. انظر المرجع السابق، ص (١٦ ـ ١٨).

وهذه المؤلفات ذكرها العلماء ـ مع غيرها ـ في ترجمة الإمام الرازي منسوبة إليه. انظر وفيات الأعيان (٢٤٩/٤)، والوافي بالوفيات (٢٥٥/٤، ٢٥٦)، وشذرات الذهب (٢١/٥)، ومرآة الجنان (٧/٤، ٨).

(٣)نص بعض العلماء على أن الرازي لم يكمل هذا التفسير. انظر وفيات الأعيان (٢٤٩/٤)، وانظر شذرات الذهب(٢١/٥)، والتفسير والمفسرون (٢٩١/١ـ ٢٩٣).

(٤)انظر طبقات المفسرين للسيوطي، ص (١١٥)، وطبقات المفسرين للداودي (٢١٧/٢).

١٠ ــ أساس التقديس ١١ ــ شرح قسم الإلهيّات من الإشارات لابن سينا ١٢ ــ عصمة الأنبياء ١٣ ــ المباحث المشرقية ١٤ ــ لباب الإشارات ١٥ ــ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ١٦ ــ الفراسة ١٧ ــ مناقب الإمام الشافعي .

وقد ذكر الدكتور بكري شيخ أمين للإمام الرازي ثلاثة عشر كتاباً مخطوطاً وأماكن وجودها[1].

**٨ ــ شعر الإمام الرازي** : ذكر بعض المترجمين أن له شعرًا بالعربيّة والفارسيّة[2]، وقد أورد بعض العلماء شيئاً من شعره [3]، وهو قوي فصيح، معانيه سامية جدًّا، وبعضه يدل على أنه قد ندم على ما دخل فيه من علم الكلام والفلسفة[4].

ومن شعره قوله[5]:

إليك إله الخلق وجهي وأنت الذي أدعوه في السر والجهر

وأنت غياثي عند كل وأنت ملاذي في حياتي وفي قبري

(١)انظر مقدمة نهاية الإيجاز، ص ( ١٨ ــ ٢٠ )، وقد نص على نسبة أكثرها إليه المتقدمون . انظر المراجع في الحاشية التي ذُكرت فيها مؤلفاته المطبوعة.

(٢)انظر الوافي بالوفيات ( ٤/٢٤٩ ) .

(٣)انظر عيون الأنباء ( ٣/٤٢، ٤٣ ) .

(٤)انظر المرجع السابق ( ٣/٤٢، ٤٣ ) .

(٥)انظر البداية والنهاية ( ١٣/٥٦ ) .

**٩ ـ وفاة الإمام الرازي رحمه الله تعالى** :قال الإمام الذهبي :"مات بهراة [١] يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة" [٢].

وللإمام الرازي كلام في آخر عمره يدل على رجوعه إلى مذهب السلف في بعض مسائل العقيدة، ومن ذلك قوله : "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: **﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾** [٣]،**﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ﴾** [٤]، واقرأ في النفي: **﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾** [٥]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي" [٦].

---

(١)هـــراة : مدينـــة عظيمة، من أمهات مدن خراسان، دخلها ياقوت الحموي بعد موت الرازي بسنة فوصفها بكثرة أهلها وعلمائها وخيراتها . انظر معجم البلدان ( ٤٥٦/٥ ) قلت : وهي الآن إحدى مدن أفغانستان .

(٢)انظر السير ( ٥٠١/٢١ ) .

(٣)سورة طه، الآية : ٥ .

(٤)سورة فاطر، الآية : ١٠ .

(٥)سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٦)السير(٥٠١/٢١).

**المبحث الثاني : ترجمة موجزة للإمام ابن كثير ( تتضمن ما يلي ) :**

**١ ــ اسم الإمام ابن كثير ونسبه :** هو الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن درع القرشي من بني حصلة[١]، ويلقّب بعماد الدين، وكنيته أبو الفداء[٢].

**٢ ــ مولد الإمام ابن كثير ونشأته :** ولد الإمام ابن كثير بمجيدل القرية من بلاد الشام[٣]سنة ٧٠٠هـ، أو بعدها بيسير[٤]، ونشأ في بيت علم وفضل، إذْ كان أبوه عمر بن كثير من أهل العلم والفضل، وكان خطيب قرية مجيدل القرية[٥]، وتوفي بهذه القرية وعمر ابنه ابن كثير نحو ثلاث سنوات، فانتقل به أخوه عبد الوهاب إلى دمشق[٦]، وعمره نحو سبع سنين[٧]. فسمع على طائفة من علماء دمشق، وحفظ التنبيه، ومختصر ابن الحاجب[٨].

---

(١)انظر البداية والنهاية ( ٣١/١٤، ٣٢ )، وترجمة الإمام ابن كثير في مراجع كثيرة منها : المعجم المختص،ص ( ٧٤، ٧٥ )، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ( ٨٥/٣ )، وإنباء الغمر ( ١/ ٣٩ )، والنجوم الزاهرة ( ١٢٣/١١ )، والدرر الكامنة ( ٣٩٩/١ ) ،وشذرات الذهب ( ٦/ ٢٣١ )، وطبقات المفسرين للداودي ( ١١١/١ )، والبدر الطالع ( ١٠٢/١ )، وهدية العارفين ( ١ /٢١٥ )، والأعلام ( ٣٢٠/١ )، وطبقات المفسرين للأدنه وي، ص ( ٢٦٠ ) .

(٢)انظر النجوم الزاهرة ( ١٢٣/١١ )، وطبقات المفسرين (١١١/١).

(٣)انظر البداية والنهاية ( ٣١/١٤، ٣٢ ) .

(٤)انظر الدرر الكامنة ( ٣٩٩/١ ) .

(٥)انظر البداية والنهاية ( ٣١/١٤ ) .

(٦)انظر المرجع السابق ( ٣٢/١٤ )، و الدرر الكامنة ( ٣٩٩/١ ).

(٧)انظر البداية والنهاية ( ٣٢/١٤ ) .

(٨)انظر شذرات الذهب ( ٢٣١/٦ ) .

٣ ــ **بعض شيوخ الإمام ابن كثير** : تتلمذ الإمام ابن كثير على طائفة من العلمــاء، مــنهم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، والإمام الحافظ المحدث البارع أبو الحجاج المزي صاحب تهذيب الكمال، وتفقه على الشيخين بــرهان الدين الفزاري، وكمال الدين ابن قاضي شهبة، وسمع من القاسم بن عساكر(١).

٤ــ **بعض تلاميذ الإمام ابن كثير** : لم يذكر أكثر المترجمين مَنْ تتلمذ على ابــن كــثير، ولا يلزم من عدم ذكرهم العدم، وقد وصف ابن العماد الحنبلي تلامــذة ابــن كــثير بالكثرة (٢)، ومنهم الحافظ شهاب الدين ابن حِجّي(٣)، والعلاّمــة الإمام بدر الدين الزركشي(٤)،ومحمد بن عنقة المدني(٥)، وسعد الدين النواوي(٦)، وابن الحريري المعروف بالسلاوي(٧)، والإمام محمد ابن الجزري(٨).

## ٥ ــ مذهب الإمام ابن كثير في الأصول والفروع :

**أما مذهبه في الأصول** (العقيدة): فهو على المذهب الحق- مذهب السلف - الموافق لما في القرآن والسنة، وهو من تلاميذ شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية وعلى

---

(١)انظر إنباء الغمر ( ٣٩/١ )، والدرر الكامنة ( ٣٩٩/١ )، وشذرات الذهب ( ٢٣١/٦ )، وطبقات المفسرين للداودي ( ١١٢/١ )، والبدر الطالع (١٠٣/١).

(٢)انظر شذرات الذهب ( ٢٣١/٦ ) .

(٣)انظر طبقات المفسرين للداودي ( ١١٢/١ ) .

(٤)انظر حسن المحاضرة ( ٤٣٧/١ ) .

(٥)انظر الضوء اللامع ( ١٧٢/٩ )، وشذرات الذهب ( ٤٦/٧ ) .

(٦)انظر الدارس للنعيمي ( ٣٢٠/١ )، وشذرات الذهب ( ٤٩/٧ ) .

(٧)انظر شذرات الذهب ( ١٠٠/٧ ) .

(٨)انظر المصعد الأحمد لابن الجزري ــ المنشور في أول مسند الإمام أحمد ــ ( ٣٩/١، ٤٠ ) .

طريقته، ومن أراد أن يطلع على شيء مما قاله في هذا الباب فلينظر في تفسيره في مواطن كثيرة منها عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [2].

ولينظر كتابه العقائد فقد تكلم في هذا الباب بأحسن كلام وأتقنه[3].

فإذا رأيت كل هذا تبين لك أن من زعم أن الإمام ابن كثير أشعري العقيدة قد جانب الصواب، وادعى على ابن كثير ما لم يقل[4].

**وأما مذهبه في الفروع** (الفقه ) : فهو على مذهب الإمام الشافعي، يلمس ذلـــك مـــن يقرأ في كتابه "تفسير القرآن العظيم" [5]، ووُصف بذلك في كتب التراجم[6]، وهو مذكور في طبقات الشافعية[7].

---

(١)سورة الأعراف، الآية : ٥٤، وانظر تفسير القرآن العظيم (٢/٢٢١).

(٢)سورة الأنعام، الآية : ١٥٩، وانظر تفسير القرآن العظيم (٢/١٩٧).

(٣)انظر منه لوحة ( ٣ ) .

(٤)ادعـــى هـــذه الدعـــوى المحققان لكتاب ابن كثير "الفصول في اختصار سيرة الرسول" ،وذلك في مقدمته، ص ( ٣٣ ) من طبعته الأولى عام ١٣٩٩ـــ١٤٠٠هـــ . ونص كلامهما : "ورغم أن ابن كثير كان شافعي المذهب، أشعري العقيدة، فإنه كان تلميذاً مخلصـــاً لابن تيمية"، ولم يذكرا دليلاً علـــى قـــولهما، بـــل قد اضطرا في طبعات الكتاب المتأخرة إلى سحب هذه الدعوى، فألغيا عبارة "أشـــعري العقـــيدة" . وانظـــر الرد على هذه الدعوى في استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره، ص ( ٩٨ ).

(٥)انظر كلامه على آيات الأحكام، منه ما في ( ٢/٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٩).

(٦)انظـــر النجوم الزاهرة ( ١١/١٢٣ )، وإنباء الغمر بأنباء العمر ( ١/٣٩ ) ،وشذرات الذهب ( ٦/ ٢٣١ ) .

(٧)انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ( ٣/٨٥ ) .

٦ ـــ **ثناء العلماء على الإمام ابن كثير** : أثنى العلماء على الإمام ابن كثير بما لا يتسع المقام لذكر جميعه، فنأتي بشيء منه، فمن ذلك :

قـــول الإمام الذهبي ـــ وهو أحد شيوخ ابن كثير ـــ : "فقيه متفنن ومحدث مـــتقن ومفسر نقال وله تصانيف مفيدة"(١). وقال تلميذه ابن حجي : "أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكـــان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وما أعرف أني اجتمعت به ـــ على كثرة ترددي إليه ـــ إلا واستفدت منه"(٢). ونقل ابن تغري بردى عن العيني أنه قـــال عـــنه : "كان قدوة العلماء والحفّاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمـــع وصـــنَّف ودرَّس وحـــدَّث وألَّف، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفســـير، وله مصنفات عديدة مفيدة"(٣). وقال الحافظ ابن حجر : "وكان كـــثير الاستحضار، حسن المفاكهة، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته"(٤). وقال العلاّمة الشوكاني : " ... برع في الفقه والتفسير والنّحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل"(٥).

٧ ـــ **بعض آثار الإمام ابن كثير العلميّة** : آثار الإمام ابن كثير كثيرة، نصّ علـــى طائفة منها الأئمة، فمن ذلك قول ابن حجر : "...جمع التفسير، وشرع

(١)انظر المعجم المختص، ص ( ٧٤، ٧٥ ) .

(٢)شذرات الذهب ( ٢٣٢/٦ ) .

(٣)النجوم الزاهرة ( ١٢٣/١١ ) .

(٤)الدرر الكامنة ( ٤٠٠/١ ) .

(٥)البدر الطالع ( ١٠٣/١ ) .

في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سمّاه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية، وخرج أحاديث أدلة التنبيه، وأحاديث مختصر ابن الحاجب الأصلي، وشرع في شرح البخاري ... وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح، وله فيه فوائد"[١]. وذكر نحو ذلك ابن تغري بردى، وأضاف "مناقب الإمام الشافعي"[٢].

وأضاف الداودي إلى ما تقدم كتاباً في جمع المسانيد العشرة، والتكميل، وسيرة صغيرة[٣]. وأضاف إسماعيل باشا إلى ما تقدم : الكواكب الدراري في التاريخ انتخبه من البداية والنهاية، والاجتهاد في طلب الجهاد[٤].

قلت : استقصى الدكتور مطر بن أحمد بن مسفر الزهراني ذكر مؤلفات الإمام ابن كثير، وذكر أنّ المطبوع منها : ١ ـ التفسير ٢ ـ فضائل القرآن ٣ ـ اختصار علوم الحديث ٤ ـ البداية والنهاية ٥ ـ عمر بن عبد العزيز ٦ ـ الفصول في اختصار سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ٧ ـ الاجتهاد في طلب الجهاد ٨ ـ مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[٥] ٩ ـ أحاديث التوحيد والرد على أهل الشرك[٦]. وذكر أنّ المخطوط منها الموجود :

---

(١)انظر الدرر الكامنة ( ٣٩٩/١، ٤٠٠ ) .

(٢)انظر النجوم الزاهرة ( ١٢٣/١١ ) .

(٣)انظر طبقات المفسرين ( ١١٢/١ ) .

(٤)انظر هدية العارفين ( ٢١٥/١ )، وانظر أسماء هذه المؤلفات على التفصيل ومعها غيرها في تيسير العليّ القدير لاختصار تفسير ابن كثير، المقدمة .

(٥)قلت : إن صحت نسبة الكتاب إلى ابن كثير فليس فيه حجة على البدعة القبيحة (مولد الرسول صلى الله عليه وسلم).

(٦)انظر الإمام ابن كثير المفسر، ص ( ٥٩ـ٧٢ ) .

١ ـــ جامع المسانيد والسنن ٢ ـــ شرح صحيح البخاري

٣ ـــ مسند الفاروق ٤ـــ إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلّة التنبيه

٥ ـــ تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب

٦ ـــ التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل

٧ ـــ كتاب العقائد ٨ ـــ رسالة في أحاديث الإشراك

٩ ـــ شعب الإيمان ١٠ ـــ الأحكام الكبير

١١ ـــ الواضح النفيس في مناقب الإمام ابن إدريس

١٢ ـــ طبقات الفقهاء الشافعيين(١).

وعـــدّد فضيلة الدكتور المفقود من مؤلفات الإمام ابن كثير فبلغ بها ثلاثين مؤلفـــاً(٢).

قلـــت : وهـــذا الإحصاء الجيّد ذُكر عام ١٤٠٥هـــ، وبعض ما ذُكر أنه مخطوط قد طُبع(٣).

**٨ ـــ شـــعر الإمـــام ابن كثير** : الإمام ابن كثير من العلماء الذين نظموا الشعر، وأبوه من قبله كان شاعرًا (٤)، وقد وصف ابن العماد الحنبلي شعر ابن كثير بأنه وسط فقال : "يشارك في العربية وينظم نظمـــاً وسطـــاً" (٥).

---

(١)انظر الإمام ابن كثير المفسر، ص ( ٧٣ــ٨٠ ) .

(٢)انظر المرجع نفسه، ص ( ٨١ــ٨٥ ) .

(٣)وقفـــت من ذلك على ( طبقات الفقهاء الشافعيين ) في مجلدين، و ) مسند الفاروق ) في مجلدين، و ( تحفة الطالب بمعرفة أحديث مختصر ابن الحاجب ) في مجلد واحد، و ( جامع المسانيد والسنن ) في عشرة مجلدات، و ( إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه ) في مجلدين .

(٤)انظر البداية والنهاية ( ١٤/٣٢، ٣٣ ) .

(٥)انظر شذرات الذهب ( ٦/٢٣١ ) .

ومن شعره قوله [1]:

تـــمر بنـــا الأيّـــام تَتْـــرى نُسَاقُ إلى الآجالِ والعينُ تنظـــرُ

فلا عائدٌ ذاك الشّبابُ الذي ولا زائلٌ هذا المشيبُ المكـــدِّرُ

قلت : وله أرجوزة جيدة يذكر فيها خلفاء بني العباس، ومن حكم بعدهم من المماليك إلى وقته [2].

**٩ ــ وفاة الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى :**

بعـــد عمر حافل بالعطاء والخير ــ قضاه الإمام ابن كثير في تأليف الكتب الموســـوعة والصغيرة وما بين ذلك، وقضاه أيضـــًا في مشيخة بعض المدارس[3] وتعلـــيم الطـــلاّب ــ مـــات هذا الإمام سنة أربع وسبعين وسبعمائة في شهر شعبان[4] ،ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية [5]ــ رحمة الله تعالى على الجميع ــ ورثـــاه بعض تلاميذه بقوله [6]:

لَفَقْدِك طُلاَّبُ العلومِ تأسَّفُوا وجَادُوا بِدَمْعٍ لا يَبِيدُ غَزيرِ

ولو مَزَجُوا مَاء المدامعِ بالدِّما لكان قليلاً فيك يا ابنَ كثيرِ

---

(١)انظر إنباء الغمر ( ١/٤٠ ) .

(٢)انظرها في البداية والنهاية ( ١٣/٢٠٩ ) .

(٣)انظر طبقات المفسرين للداودي ( ١/١١٢ ) فقد ذكر أنه وليّ مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي، وبعد موت السبكي مشيخة دار الحديث الأشرفية .

(٤)انظر الدرر الكامنة ( ١/٤٠٠ )، والنجوم الزاهرة ( ١١/١٢٣ ) ،وطبقات المفسرين للداودي ( ١/ ١١٣ ) .

(٥)انظر طبقات المفسرين للداودي ( ١/١١٣ )، وشذرات الذهب(٦/٢٣٢).

(٦)انظر النجوم الزاهرة ( ١١/١٢٤ ) .

**الفصـــل الثاني : تنبيهات الإمام ابن كثير على قضايا ومسائل أوردَها الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير** (وفيه عشرة تنبيهات) :

**١ - قال الإمام الرازي** ـــ في الاحتجاج لمن ذهب إلى أنّ لفظ الجلالة ( الله ) اسم علم لله تعالى، وأنه ليس بمشتق ـــ : "الحجة الثالثة : قال تعالى : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا** ﴾ [1]، وليس المراد من الاسم في هذه الآية الصفة، وإلاّ لكذب قوله : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا** ﴾ [2] فوجب أن يكون المراد اسم العلم، فكل من أثبت لله اسم علم قال : ليس ذلك إلاّ قولنا : الله" [3].

ونـــبَّه الإمام ابن كثير على ضعف احتجاج الإمام الرازي بالآية المذكورة في ســـورة مريم، فقال - بعد أن حكى حجج الإمام الرازي، ومنها الحجة الثالثة المنقولة ها هنا - : "وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتق نظر، والله أعلم" [4].

بيان وجه استدلال الإمام الرازي بهذه الآية ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا** ﴾ [5] أن غير الله تعالى لا يسمى بهذا الاسم فدل ذلك على عدم الاشتراك، وإذا كان لا يشترك في هذا الاسم أحد مع الله تعالى، دل ذلك على أن هذا الاسم الكريم (الله) ليس بمشتق، بل هو اسم علم .

---

(١)سورة مريم، الآية : ٦٥ .

(٢)سورة مريم، الآية : ٦٥ .

(٣)التفسير الكبير ( ١٣٢/١ ) .

(٤)تفسير القرآن العظيم ( ٢١/١ ) .

(٥)سورة مريم، الآية : ٦٥ .

ويدل على أن هذا هو مقصود الإمام الرازي ما سيأتي - إن شاء الله تعالى - من النقل عن الأئمة الذين اتفقوا معه على ذكر هذه الآية دليلاً لهذه المسألة .

وبيان وجه الاستدلال بما ذكرت واضح من كلام الرّازي - أيضاً - حيث قال : "فوجب أن يكون المراد اسم العلم، فكل من أثبت لله اسم علم، قال ليس ذاك إلاّ قولنا الله" .

أما بيان وجه تنبيه الإمام ابن كثير فلم يفصح ابن كثير بشيء يمكن أن يستنتج منه مقصوده.

ولعل مقصوده بقوله : "وفي هذا الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتق نظر" أنه لا يلزم من قولنا : إن هذا الاسم (الله) لا يطلق، أو لا يسمى به غير الله تعالى ألاّ يكون مشتقاً؛ لأنّ الاشتقاق جيء به من الفعل، ثم جُعل علماً وسُمي به، فلا يتطابق مع قوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [(١)] أي: أحدًا يسمى بهذا الاسم غير الله تعالى .

أو أنّ ابن كثير يقصد أنّ المعنى الذي ذكره الرازي للآية - وجعله حجة لما ذهب إليه - ليس موضع اتفاق بين المفسرين؛ إذْ أن هناك معاني أُخر إذا حملت الآية عليها، لم يبق للرازي فيها دليل[(٢)].

هذا وقد ذكر بعض العلماء الآية في أثناء كلامه على أن هذا الاسم (الله) غير مشتق، ومنهم من نص على أن الآية حجة على عدم الاشتقاق .

فالإمام الواحدي ـــ وهو متقدم على الرازي ـــ قال : "وأما (الله ) فإن

---

(١)سورة مريم، الآية : ٦٥ .

(٢)انظر هذه المعاني في جامع البيان ( ٢٢٦/١٨ )، والمحرر الوجيز (٤٥/١١).

كثيرًا من العلماء ذهبوا إلى أن هذا الاسم ليس بمشتق، وأنه اسم تفرّد به الباري سبحانه، يجري في وصفه مجرى أسماء الأعلام، لا يشركه فيه أحـــد، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [1] أي : هل تعلم أحدًا يُسمّى الله غيره" [2].

والإمام الخازن احتجّ بالآية على نحو ما ذكر الرازي فقال ـــ بعد أن ذكر أن هذا الاسم علم خاص لله تعالى، وأنه ليس بمشتق ـــ : "وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [3] أي : لا يقال لغيره الله" [4].

وكذلك نظام الدين النيسابوري تابع الرازي فذكر كلامه بحروفه [5].

وبعـــد : فتعليقي على هذه المسألة من ثلاثة أوجه :

الأول : لا يريد ابن كثير تضعيف قول من قال : إن هذا الاسم ليس بمشتق؛ ولذلك قال : "وفي الاستدلال بهذه ... نظر" فكأنه يقول : أنا لست أدفع قول من يقول : بعدم الاشتقاق، ولكنني أُريد مرجحـــًا قويـــًّا، لا مطعن فيه .

وممـــا يدل على هذا الاتجاه ـــ أيضـــًا ـــ أنه بدأ بذكر القول الذي نصره الرازي ثم ذكر القول الآخر بقوله : "وقيل : إنه مشتق ..." [6] فهذا كله يرجح أن الإمام ابن كثير يذهب إلى ما ذهب إليه الإمام الرازي في أصل هذه المسألة، وهو أنّ لفظ الجلالة ( الله ) ليس مشتقـــًّا .

---

(١)سورة مريم، الآية : ٦٥ .

(٢)الوسيط(٦٣/١).

(٣)سورة مريم، الآية : ٦٥ .

(٤)لباب التأويل في معاني التنـــزيل ( ١٧/١ ) .

(٥)انظر غرائب القرآن ( ٦٥/١ ) .

(٦)انظر تفسير القرآن العظيم ( ٢٠/١ ) .

الثاني : الذي ظهر لي أن تنبيه الإمام ابن كثير وارد على الإمام الرازي لثلاثة أسباب :

أ ــ لا يلزم من وجـــه الاستدلال الذي ذكره الإمام الرازي عدم الاشتقاق؛ لأن المادة الأولى التي اشتق منها الاسم ليست باسم موضوع على علم خاص .

أما عند من يقول : الأصل في الاشتقاق هو الفعل[١] ، فلا غبار عليه .

وأما عند من يقول : الأصل في الاشتقاق هو المصدر[٢]ــ وهو اسم ــ فإن هؤلاء لم يعنوا أن المصدر اسم على علم خاص .

ب ــ أن الآية المحتج بهـــا على المسألة لها أكثر من معنى، فيمكن للخصم أن يقول : ليس معنى الآية على ما ذكرت وبنيت عليه دليلك، بل للآية معنى آخر عندي تحمل عليه، وهو هل تعلم له ــ سبحانه ــ شبيهـــًا، أو مثيلاً [٣].

ج ــ نص بعض العلماء ومنهم الراغب والسمين على أن هذا الاسم ( الله ) مخـــتص بالباري لا يطلق على غيره، واستدلوا بالآية التي ذكرها الرازي إلاّ أن أحدًا ــ من هؤلاء ــ لم يقل : إنها دليل على عدم الاشتقاق [٤].

ولعـــل ما تقدم نقله عن الواحدي أراد به هذا، و لم يرد أن الآية دليل على عدم الاشتقاق .

وأمّا الخازن والنيسابوري، فالغالب أنهما قالا ما قالا متابعة للرازي .

---

(١)وهم الكوفيون . انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين والكوفيين ( ١/٢٣٥ ) .

(٢)وهم البصريون . انظر المصدر نفسه ( ١/٢٣٥ ) .

(٣)انظـــر جامع البيان ( ١٨/٢٢٦ )، و المحرر الوجيز ( ١١/٤٥ ) قال ابن عطية ــ بعد أن ذكر قول الـــرازي وعطف عليه هذا القول ــ : وهذا قول حسن، وكأن السمي بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو .

(٤)انظر المفردات، ص ( ٢١ )، وعمدة الحفّاظ ( ١/١١٨ ) .

الثالث : الخلاف مشهور بين العلماء في الاسم الكريم ( الله ) هل هو جامد أو مشتق ؟

وفي المســـألة قولان مشهوران ذكرهما المفسّرون(1)، واللغويون(2)، لا نطيل الـــبحث بذكر أدلة الفريقين والترجيح بينهما؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخروج عن الموضوع المقصود، ومن أراد ذلك فيمكنه مراجعة المصادر التي ذكرتها آنفـــاً، وبالله التوفيق .

**٢ – أورد الإمام الرازي** أحاديث في فضل البسملة، منها حديث يرويه أبو هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ وفيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : "**إذا غشيت أهلك فقل :بسم الله ... فإن حصل من تلك الواقعة ولد كُتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد، وبعدد أنفاس أعقابه إن كان له عقب، حتى لا يبقى منهم أحد ...**" (3).

ونبّه الإمام ابن كثير على أنّ هذا الحديث لا أصل له فقال :

"وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث، منها عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ..."(4) ثم ذكر الحديث السّابق بمعناه، ثم عقّـــب علـــيه بقوله : "وهذا لا أصل له، ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد

---

(1)انظـــر ـــ مثلاً ـــ النكت والعيون ( ١/٥٠ )، ومعالم التنـــزيل(١/٣٨)، وزاد المسير ( ١/٨، ٩ )، والمحرر الوجيز ( ١/٥٧ )، وأنوار التنـــزيل (١/٦)، والجامع لأحكام القرآن ( ١/١٠٢ )، والبحر المحيط ( ١/١٢٤ )، ومدارك التنـــزيل (١/٤، ٥ ) ،وبصائر ذوي التمييز ( ١/١٢ ) .

(2)انظر تهذيب اللغة ( ٦/٤٢٢ )، ولسان العرب ( ١/١٨٨ ) (أله) .

(3)التفسير الكبير ( ١/١٤٣ ) .

(4)تفسير القرآن العظيم ( ١/١٩ ) .

عليها ولا غيرها" [١].

هـــذا الحديث لم أقف عليه في شيء من كتب الحديث، ولا الفضائل، ولا التفســـير، ولا حتى الموضوعات[٢] إلاّ ما كان من نظام الدين النيسابوري، فإنه أورد هذا الحديث، تبعـــًا للرازي[٣]ـــ وهو معروف بالنقل عن الرازي والتأثر به ـــ و لم يذكر مرجعه في نقل الحديث .

والـــذي تبيَّن لي أن تنبيه ابن كثير وارد على الفخر الرازي - فيما نقله في تفسيره - ويؤيده أمور منها :

١ ـــ أنّـــي لم أقـــف علـــى هذا الحديث - في حد إطلاعي - إلاّ عند الفخر الـــرازي[٤]، فالظاهـــر أنه اطلع عليه في كتاب غير معتمد في هذا الشأن فنقله الرازي من غير تمحيص .

٢ ـــ أن معظم ما يذكره أكثر المفسرين في باب الفضائل هو من قسم الضعيف والموضوع،ومن هؤلاء المفسرين الزمخشري، والرازي، والبيضاوي، وأبو السعود[٥].

٣ ـــ ذكـــر بعض المفسرين المحدثين أنه قد ورد في فضل البسملة أحاديث، الله أعلم بها[٦].

وقال بعضهم : وقد ورد في فضلها أحاديث ينبغي البحث عن أسانيدها

---

(١)المصدر نفسه ( ١٩/١ ) .

(٢)وهذا في حدّ اطلاعي، وما توفر لديّ من المراجع .

(٣)انظر غرائب القرآن ( ٧١/١ ) .

(٤)إلا ما كان عند النيسابوري نقلاً عن الرازي .

(٥)انظر موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، القسم الصحيح (٨/١).

(٦)انظر البحر المحيط ( ١٥٣/١ ) .

والكلام عليها[1].

وهذا كله يؤيد ما قاله المحدث الناقد ابن كثير .

٤ ـــ أن الإمام الرازي، وإن كان رأســاً في الذكاء والعقليات، فهو عري من الآثار[2]، ومن كان هذا حاله فلا يبعد دخول الخلل عليه من الباب الذي لا يتقنه .

٥ ـــ الحـــديث مشتمل على مبالغة؛ إذ فيه وعد عظيم على قول يسير، وهذا يشكّك في ثبوته عن الرسول صلى الله عليه وسلم [3].

**تنبـــيه** : أوّل الحديث : "**إذا غشيت أهلك فقل بسم الله**" معناه ثابت، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، عن النبي صلى الله علـــيه وسلم قال : "**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره**" [4].

**٣ – قال الإمام الرازي** ـــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [5]ـــ: "ومنهم من قال: العبودية أشرف من الرسالة؛ لأنّ بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق، وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق، وأيضـــاً بسبب العبودية ينعزل عن التصرفات، وبسبب الرسالة يقبل

(١)انظر فتح القدير ( ١/٦٨ )، وفتح البيان في مقاصد القرآن (١/٣٤).

(٢)انظر ميزان الاعتدال ( ٣/٣٤٠ ) .

(٣)انظر الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص ( ٣٣٧ ) .

(٤)صـــحيح البخاري ـــ مع الفتح ـــ ( ١/٢٤٢ )، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، ح(١٤١).

(٥)سورة الفاتحة، الآية : ٥ .

على التصرفات، واللائق بالعبد الانعزال عن التصرفات، وأيضـًا العبد يتكفل المولى بإصلاح مهماته، والرسول هو المتكفل بإصلاح مهمات الأمة، وشتان ما بينهما" [1].

ونــبّه الإمام ابن كثير على أن هذا القول خطأ، وأن التوجيه الذي وُجه به ضعيف، وأن الإمام الرازي لم يتعرض لهذا القول بتضعيف ولا ردّ، فقال ــ بعد أن نقل ما حكاه الرازي وبعض التوجيه الذي وُجّه به ــ : "وهذا القول خطأ، والتوجــيه أيضـــًا ضعيف لا حاصل له، ولم يتعرض له الرازي بتضعيف ولا رد" [2].

وقد تابع النيسابوري الإمام الرازي فنقل هذا الكلام نقل المسلم به الراضي عنه[3].

ولا شــك أن تنبــيه الإمام ابن كثير وارد على هذا القول الذي نقله الإمام الرازي في تفسيره؛ فإن هذا القول باطل، والتوجيه الذي وجه به لا قيمة له .

وذلك أنّ مؤداه تفضيل أتباع الرسل على الرسل، وهذا قريب من شطحات بعض الصوفية الذين يقولون: الولي أفضل من النبي[4].

ثم أليست الرسالة متضمنة للعبودية، وليس العكس ؟!!

وأما ما ذكره تعليلاً لهذه المقولة بقوله : "لأنّ بالعبودية ..." إلخ، فهذا معناه أن العابد مشغول بعبادة ربه عن إصلاح الخلق وتعبيدهم لله، وهذا في الحقيقة

---

(١)التفسير الكبير ( ١/٢٠٢ ) .

(٢)تفسير القرآن العظيم ( ١/٢٧ ) .

(٣)انظر غرائب القرآن ( ١/٩٥ ) .

(٤)انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ( ١١/٢٢٣)،والتصوّف بين الحق والخلق،ص ( ٨٧ ) .

عبودية ناقصة خصوصـــاً في هذه الأمة؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ (١)، وقال صلى الله عليه وسلم : "**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**" (٢).

وأما قوله : "وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق" فيُفسَّر هذا الكلام على أحد وجهين :

١ــ أنه يأتي بالرسالة من الله تعالى فيبلغها للناس . فليت شعري : أي انصراف هذا الذي فيه تبليغ ما أُمر به إلى الناس والله يقول : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ** ﴾ (٣).

٢ــ أنــه يعني أن الرســالة تشغله عن العبودية الكامــلة؛ لأنّ فيها تعليم الـــناس، ودلالـــتهم علـــى الخير، وعدم الانقطاع عنهم، فبهذا كانت الرسالة انصـــراف مـــن الحق إلى الخلق، فبالله عليك هل هذا إلاّ انصراف إلى العبودية الكاملة الحقة، وليست عبودية من تشبَّه بالنصارى .

وأما التعليل الثاني – الذي ذكره الرازي بقوله : "وأيضـــًا بسبب العبودية

---

(١)سورة آل عمران، الآية : ١١٠ .

(٢)متفق عليه ، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ــ مع الفتح ــ ( ٤٧٦/٧ )، كتاب المغازي، باب غـــزوة خيبر،ح ( ٤٢١٠ )، والإمام مسلم ( ١٨٧٢/٤ )، كتاب فضائل الصحابة، ح ( ٢٤٠٦ ) كلاهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

قـــال الحـــافظ : (حمـــر النعم) بسكون الميم من حمر، وبفتح النون والعين المهملة، وهو من ألوان الإبل المحمودة .فتح الباري ( ٤٧٨/٧ ) .

(٣)سورة المائدة، الآية : ٦٧ .

ينعزل عن التصرفات وبسبب الرسالة يقبل على التصرفات ..." – فبطلانه واضح؛ لأن الرسول إن قال قولاً، أو فعل فعلاً، فإنما ذلك بوحي من الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [(١)]،﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [(٢)].

وأما ما ذكره الرازي في آخر كلامه، فليس فيه حجة لفضيلة العبودية على الرسالة، بل لو عُكس ذلك فقيل : إن المتحمِّل أفضل من المتحمَّل عنه ـــ في هذا الباب ـــ لكان ذلك صحيحـــاً . ثم أليس الله تعالى قد قال : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [(٣)] فأي تكفّل أعظم من هذا لصاحب الرسالة ؟!!

٤ – **قـــال الإمـــام الرازي** : "السؤال التاسع : ما معنى قوله : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [(٤)] ؟ . الجواب : أنّها نار ممتازة من النيران بأنها لا تتقد إلاَّ بالناس والحجارة، وذلك يدل على قوها من وجهين . الأول : أن سائر النيران إذا أُريد إحراق الناس بها، أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك أعاذنا الله منها ـــ برحمته الواسعة ـــ توقد بنفس ما تحرق . الثاني : أنها لإفراط حرها تتقد في الحجر" [(٥)].

ثم قال الرازي : "وقيل : هي حجارة الكبريت، وهو تخصيص بغير دليل، بل

---

(١)سورة النجم، الآية : ٣، ٤ .

(٢)سورة الحاقة، الآية : ٤٤، ٤٥، ٤٦ .

(٣)سورة الطور، الآية : ٤٨ .

(٤)سورة البقرة، الآية : ٢٤ .

(٥)التفسير الكبير ( ٢/١١٢ ) .

فـــيه مـــا يدل على فساده؛ وذلك لأن الغرض ها هنا تعظيم صفة هذه النار، والإيقـــاد بحجارة الكبريت أمر معتاد فلا يدل الإيقاد بها على قوة النار، أمّا لو حملـــناه على سائر الأحجار دل ذلك على عظم أمر النار، فإن سائر الأحجار تُطفـــأ بها النيران فكأنّه قال : تلك النيران بلغت لقوتها أن تتعلق في أوّل أمرها بالحجارة التي هي مطفئة لنيران الدنيا ... " [١].

ونـــبَّه الإمـــام ابـــن كثير ـــ بعد أن فسَّر "الحجارة" بأنها حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة، وهي أشد الأحجار حرًّا إذا حميت ـــ[٢]على رد الإمـــام الرازي على من قال : إنها حجارة الكبريت، بقوله : "وهذا الذي قاله لـــيس بقـــوي؛ وذلك أن النار إذا أُضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحـــرها، وأقوى لسعيرها، ولا سيّما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك، ثم إن أخذ النار في هذه[٣] الحجارة أيضـــًا مشاهد، وهذا الجـــص يكـــون أحجـــارًا فيعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك، وكذلك سائر الأحجار تفخرها النار وتحرقها ..." [٤].

ما ذهب إليه الرازي وابن كثير هما قولان من أربعة؛ لأن الأقوال في المقصود بالحجارة أربعة : ١ ـــ العموم ٢ ـــ أنها الحجارة التي كانوا يعبدونها في الحياة الدنيا ٣ ـــ أنها حجارة من كبريت أحمر[٥] ٤ ـــ الحجارة الذهب والفضة [٦].

---

(١)المصدر نفسه ( ١١٣/٢ ) .

(٢)تفسير القرآن العظيم ( ٦٢/١ ) .

(٣)في النسخة المنقول عنها : "بهذه"، والتّصويب من نسخة أخرى .

(٤)المصدر نفسه ( ٦٢/١ ) .

(٥)انظـــر لـــباب التأويل في معاني التنـــزيل ( ٤٠/١ )، و التسهيل لعلوم التنـــزيل ( ٧٢/١ )، وفتح البيان في مقاصد القرآن ( ٨٨/١، ٨٩ ) .

(٦)انظر غرائب التفسير ( ١٢٧/١ ) .

أمـــا القول الثاني والثالث ــ وهو الذي يراه ابن كثير ــ فأوردهما في معنى الآية كثير من أهل التفسير [(١)].

ونـــصّ الإمام البغوي أن تفسير الحجارة بحجارة من كبريت هو قول أكثر المفسرين[(٢)].

وذكر الإمام الآلوسي أن هذا القول هو الأصح عند المحدثين[(٣)].

وأقول : إن لكل قول من هذه الأقوال الأربعة دليلاً .

أمّا مَنْ فسرها بالعموم فدليله إطلاق الآية، فتكون الألف واللام للجنس [(٤)].

وقـــد يُحتج للعموم بما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : كنا مع رسول الله ﷺ إذْ سمع وجبةً، فقال النبي ﷺ : "**تدرون ما هذا ؟**" قال : قلنا الله ورسوله أعلم . قال : "**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفـــاً فهو يهوي في النار، الآن حتى انتهى إلى قعرها**" [(٥)].

وأما مَنْ فسرها بالأصنام التي ينحتونها من الحجارة فاحتج بقوله تعالى :

﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ** [(٦)] **جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا**

---

(١)انظـــر - مثلاً - معالم التنـــزيل ( ٥٦/١ )، وزاد المسير ( ٥١/١ )، والجامع لأحكام القرآن ( ٢٣٥/١ )،ومـــدارك التنـــزيل ( ٣٢/١ )، والبحر المحيط ( ٢٥٠/١ ،وغرائب القرآن ( ١٩٠/١ )، وفتح القدير ( ١١١/١ )، والتحرير والتنوير ( ٣٤٥/١ ) .

(٢)انظر معالم التنـــزيل ( ٥٦/١ )، ونحو هذا القول ذكر الشنقيطي في أضواء البيان ( ٥٥/١ ) .

(٣)انظر روح المعاني ( ١٩٩/١ ) .

(٤)انظر الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ( ٢٥٢/١ ) . وقد قيل : إن الألف واللاّم للعهد، وفي هذا نظر .

(٥)صحيح مسلم ( ٢١٨٤/٤، ٢١٨٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها، ح(٢٨٤٤).

(٦)الحصـــب : هـــو مـــا يُلقى في النار من حطب وغيره . انظر غريب القرآن وتفسيره، ص ( ٢٥٦، ٢٥٧ ) .

وَارِدُونَ ﴾ [1] ، قالوا: فهذه الآية مفسِّرة لقوله تعالى : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [2].

وأمّا مَنْ قال : إنها حجارة من كبريت، فاحتجّ بما ثبت عن ابن مسعود أنّه فسّرها بذلك[3].

قال الآلوسي : "ولمثل ذلك حكم الرفع" [4].

وأمّا مَنْ فسرها بالذهب والفضة، فاحتج بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ [5].

قال الآلوسي : "وحملها على الذهب والفضة؛ لأنهما يسميان حجرًا، كما في القاموس" [6].

وسيأتي ــ إن شاء الله تعالى ــ بيان القول الراجح من هذه الأقوال .

---

(١)سورة الأنبياء، الآية : ٩٨ .

(٢)سورة البقرة، الآية : ٢٠٤، و انظر الكشاف ( ١/٢٥٢ )، ومحاسن التأويل ( ١/٢٦١ ) .

(٣)أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسير القرآن ( ١/٤٠ )، والطبري في تفسيره ( ١/٣٨١، ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في التفسير ( ١/٨٥ )، والحاكم في المستدرك ( ٢/٢٨٧ ) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي . وحكم محقّق تفسير ابن أبي حاتم بأن إسناد رجاله كلهم ثقات .

(٤)روح المعاني ( ١/١٩٨ ) .

(٥)سورة التوبة، الآية : ٣٤، ٣٥ .

(٦)روح المعاني ( ١/١٩٩ ) . وانظر ترتيب القاموس المحيط ( ١/٥٩٢ ) "حجر" .

ورد الــرازي لقول من قال : إنها حجارة الكبريت تابع فيه الزمخشري، فإنه قال ــ بعد أن حمل الحجارة على الأصنام التي عبدوها من دون الله ــ : "وقيل : هــي حجــارة الكــبريت، وهو تخصيص بغير دليل، وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنــزيل" [1].

وكذلك تابع البيضاوي الزمخشريَّ والرازيَّ فضعف القول الذي انتصر له ابن كثير[2].

وبعــد : فالذي ظهر لي أن تنبيه الإمام ابن كثير على الإمام الرازي وارد، فحكــم الإمــام الرازي على تفسير الحجارة بحجارة الكبريت بالفساد مردود للأسباب التالية :

١ ــ لأنّه قد ثبت هذا التفسير عن صحابي، وله حكم المرفوع؛ لأنّه مما لا مجال للرأي فيه، فكيف يحكم الرازي بفساده ؟

٢ ــ ولأن مقصد القرآن بيان عظم عذاب النار الحال بالمكذبين الكافرين، فتفســيره بحجــارة الكبريت مناسب؛ لأنها أسرع وقودًا، وأبطأ خمودًا، وأنتن رائحة، وأشد حرًّا، وألصق بالبدن، نص على هذا بعض الأئمة [3]، وذكر بعضه ابن كثير كما رأيت .

٣ ــ أن هــذا القــول هو قول أكثر المفسرين كما نص على ذلك الإمام البغوي، وكما هو الواقع في دواوين التفسير، فإنك لا تكاد تجد مفسرًا إلاّ وقد

---

(١)الكشاف . ( ١/٢٥٢ )

(٢)انظر أنوار التنــزيل ( ١/٣٦ ) .

(٣)أبو الليث في بحر العلوم ( ١/١٠٣ )، وابن عطية في المحرر الوجيز ( ١/١٤٦ )،والنسفي في مدارك التنــزيل(١/٣٢).

ذكـــر هذا القول في معنى الآية، إمّا مفردًا له، أو ذاكرًا له مع غيره، فهل كل هؤلاء يغيب عنهم فساده إن كان ثَم فساد ؟

ولو اكتفى الإمام الرازي بتعليل الزمخشري - وهو قوله : إنه تخصيص بغير دليل -[1] لكان ذلك أخف .

والجواب عن هذا التعليل أن يقال : إن قائل ذلك قد خصص الحجارة بأنها الأصنام المصنوعة من الحجارة[2]، فهل في ذكر الله تعالى أن ما يعبدون من دون الله - ومنه الأصنام المنحوتة من الحجارة - حصب جهنم ما يدل على أن غير ذلك ليس وقودًا للنار ؟!

وأما قول الرازي : إن الإيقاد بحجارة الكبريت أمر معتاد، فقد رد عليه ابن كثير بقوله : "ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضـــًا مشاهد، وهذا الجص يكون أحجارًا ..." إلخ .

وفي كلام الرازي ما يفيد أنه يرى أن الحجارة تُحمل على العموم[3].

وهذا قوي؛ إذْ الأصل في معاني التنـــزيل العموم، ما لم يثبت دليل مخصص .

أو يرى أن الآية تحمل على حجارة مخصوصة، هي حجارة الأصنام[4]، وقد دل القرآن على تفسيرها بذلك .

والجواب عن الأول : بأن يقال : هذا العموم قد ثبت تخصيصه بما له حكم الرفع .

---

(١)انظر الكشاف ( ١/٢٥٢ ) .

(٢)انظر المصدر نفسه ( ١/٢٥٢ ) .

(٣)وهذا الذي أرى أنه يقصد .والقول بالعموم قد نصّ عليه طائفة من المفسرين،وقد تقدّم توثيق ذلك .

(٤)وهـــذا محـــتمل، وكلام ابن كثير في تفسيره يدل على أنه يرى أن الرازي يقصد هذا . انظر تفسير القرآن العظيم(١/٦٢).

وعن الثاني : بأن يقال : لا يبعد أن الله تعالى سيقلب أصنامهم المصنوعة من الحجارة المعروفة إلى حجارة مصنوعة من الكبريت زيادة في عذاب الكافرين .

فإن قلت : أليس الأولى أن تحمل الآية على العموم، وأن تكون الأقوال الثلاثة الأُخر من باب التمثيل للعام ببعض أفراده، فيكون الكافر يُعذَّب بالنار التي وقودها الناس والحجارة، سواء أكانت هذه الحجارة هي الحجارة المعروفة، أم حجارة من كبريت، أم حجارة الأصنام، أم حجارة الذهب والفضة ؟

قلت : إن هذا لجدير وقوي؛ وذلك من وجهين . الأول : بقاء الآية على عمومها . الثاني : أنه يجمع كل الأقوال التي قيلت، وهناك دليل يقوي هذا الاتجاه قد ذكرته في أول هذه المسألة[1].

وعلى كل حال فحكم الرازي بالفساد على ما ثبت عن صحابي يبقى مردودًا، لا قيمة له . والله أعلم .

**٥ – قال الإمام الرازي** : "فإن قيل قوله : ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[2] يتناول سورة (الكوثر)، وسورة (العصر)، وسورة (قل يا أيها الكافرون)، ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله، أو بما يقرب منه ممكن . فإن قلت : إن الإتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر، كان ذلك مكابرة، والإقدام على أمثال هذه المكابرات مما يطرق التهمة إلى الدين . قلنا : فلهذا السبب اخترنا الطريق الثاني[3]. وقلنا : إن بلغت هذه السورة في الفصاحة إلى حد الإعجاز

---

(١)وهو الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم .

(٢)سورة البقرة، الآية : ٢٣ .

(٣)انظر التفسير الكبير ( ٢/١٠٧ ) لترى الطريق الثاني، وقد أورده هاهنا بقوله : "وقلنا : إن بلغت ..." إلخ.

فقد حصل المقصود، وإن لم يكن الأمر كذلك كان امتناعهم عن المعارضة، مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزًا . فعلى هذين التقديرين يحصل المعجز" [1].

ونبَّه الإمام ابن كثير على رأي الإمام الرازي مبينـًا أن الصواب خلافه، وأن كل سورة معجزة، فقال : "تنبيه ينبغي الوقوف عليه . قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [2] وقوله – في سورة يونس – ﴿ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [3] يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم، كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين، كما هو مقرر في موضعه، فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعـًا بين الناس سلفـًا وخلفـًا . وقد قال الرازي في تفسيره، فإن قيل ..." [4].

ثم حكى ما تقدم نقله عن الرازي، ثم عقَّب عليه بقوله : "والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة، لا يستطيع البشر معارضتها، طويلة كانت أو قصيرة، قال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [5]. وقد روينا عن عمرو بن العاص أنه وفد على مسيلمة الكذاب قبل أن يُسلم . فقال له مسيلمة : ماذا أُنزل على صاحبكم بمكة في هذا

---

(١)المصدر نفسه ( ٢/١٠٨ ) .

(٢)سورة البقرة، الآية : ٢٣ .

(٣)سورة يونس، الآية : ٣٨ .

(٤)تفسير القرآن العظيم ( ١/٦٣ ) .

(٥)سورة العصر، الآيات : ١، ٢، ٣ .

الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة .فقال : وما هي ؟ فقـــال : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [1] ففكر ساعة، ثم رفع رأسه فقال : ولقد أُنزل عليّ مثلها . فقال : وما هو ؟ . فقال : يا وبْر يا وبْر[2]، إنما أنت أُذنان وصدر، وسائرك حقر فقر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ . فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني لأعلم أنك تكذب" [3] .

هـــذا التنبيه وارد على الإمام الرازي ــ فالصواب أن كل سورة في القرآن الكـــريم بالغة حد الإعجاز، ولا يمكن لأحد من إنس وجن، أن يأتوا بمثلها ــ للأسباب الآتية :

١ ــ لما ذكره الإمام ابن كثير من أدلة قوية : أولها القرآن، وثانيها اعتراف أحد العرب ــ وهو عمرو بن العاص رضي الله عنه ــ وهو ممن بلغ في البلاغة منـــتهاها، وكـــان مناوئـــاً لهذا القرآن ولمن جاء به عند إدلائه بهذه الشهادة، اعترف ببلاغة القرآن في أقصر سورة من سوره، والحق ما شهدت به الأعداء .

ثم قـــول أحد أئمة المسلمين[4]: إن هذه السورة كافية للناس بشرط التدبر، فهي كافية في الإعجاز، والتشريع، وإصلاح المجتمع، وغير ذلك .

---

(١)سورة العصر، الآية : ١، ٢ .

(٢)الوبْر : دويبة غبراء على قدر السِّنَّور تكون بالغور . انظر تهذيب اللغة ( ٢٦٥/١٥ ) "وبر" .

(٣)تفســـير القـــرآن العظيم ( ٦٣/١ ) . وقصة عمرو مع مسيلمة أوردها ابن كثير ــ أيضـــاً ــ في البداية والنهاية ( ٣٢٦/٦).

(٤)والإمام الشافعي هو هو في معرفته بكلام العرب، حتى إنه نُقل عنه أنه قال :

فلـــولا الشعـــر بالعلمـــاء يُزري ... لكـــنت الـــيـــوم أشـــعرَ مـــن لبيـــدِ

انظر السير (٧٢/١٠).

٢ ــ أن قول الإمام الرازي حاصله موافقة من يقول بالصرفة(١)، وحاصلها أن العــرب الذين نزل القرآن بلسانهم كانوا قادرين على أن يأتوا بمثل القرآن، لكن الله صرفهم عن ذلك . وهو قول باطل فاسد يدل على بطلانه أمور منها :

أ ــ قوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٢) فإن هذه الآية تدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سُلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم؛ لأن ذلك الاجتماع بمنزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره(٣).

ب ــ أجمعت الأمة على إضافة الإعجاز إلى القرآن، وأجمعت أيضــًا على بقــاء معجزة الرسول العظمى، ولا معجزة له باقية سوى القرآن، وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة(٤).

جـــ ــ أن القــول بالصرفة يستلزم أن يكون مثل القرآن معتادًا من قبل، لــتحقق الصــرفة من بعد، فتجوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها (٥).

---

(١)وهم أكثر المعتزلة ــ وشيخهم في ذلك النظام ــ والمرتضى الشيعي، وأبو إسحاق الإسفراييني، وابن حــزم الظاهــري . انظر الفصل ( ٣/١٨، ١٩ )، والبرهان ( ٢/٩٣ )، والإتقان ( ٢/٣٢٨ )، وروح المعــاني (١/٢٨)،والتحرير والتنوير ( ١/١٠٣ )، ومناهل العرفان ( ٢/٣١٠ )، والنكت في إعجاز القرآن للرماني ــ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ــ ص ( ١٠١ ) .

(٢)سورة الإسراء، الآية : ٨٨ .

(٣)انظر البرهان ( ٢/٩٤ )، وبيان إعجاز القرآن للخطابي ــ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ــ ص ( ٢١ ) .

(٤)انظر البرهان (٢/٩٤).

(٥)انظــر روح المعاني ( ١/٢٨ )، والرسالة الشافية للجرجاني ــ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ــ ص ( ١٣٤ ).

٣ ــ أن العلمـــاء قد نصوا على أن الإعجاز يشمل حتى السورة القصيرة، ومنهم الباقلاني، حيث قال : "فصل في قدر المعجز من القرآن . الذي ذهب إليه عامــــة أصحابنا ــ وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه ــ أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة، قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها" (١).

ثم قال الباقلاني : "فإن ادّعى ملحد، أو زعم زنديق، أنه لا يقع العجز على الإتـــيان بمـــثل السور القصار أو الآيات بهذا المقدار . قلنا له : إن الإعجاز قد حصل بما بيّناه، وعرف بما وقفنا عليه من عجز العرب" (٢).

قلت : فإذا كان العرب ــ في زمن نزول هذا القرآن ــ قد عجزوا أن يأتوا بســـورة من مثل سور القرآن وهم أرباب الفصاحة والبلاغة فمن يأتي بعدهم أعجز، فكيف يقول الرازي : إن ذلك مكابرة ؟!!

٤ ــ ممـــا يدل على سقوط ما ذهب إليه الرازي أن المتأثرين بتفسيره، مثل البيضاوي، والنيسابوري، والثعالبي، وأبي السعود، نزهوا تفاسيرهم عن نقل هذا القـــول، حتى ولو كان مقرونـــًا بالرد، بل لم أقف على من ينقله في التفاسير المتداولة المشهورة، وما ذلك إلاّ لسقوطه وبعده .

نعم ابن جُزيّ ذكر أن الإعجاز حاصل على القولين(٣). يعني قول الجمهور، وقول النظام ومن وافقه، وقد أشار إلى هذا الرازي .

وهـــذا باطل فإنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزًا، وإنما يكون المنع معجزًا، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه(٤).

---

(١)إعجاز القرآن، ص ( ٢٦١ ) .

(٢)المصدر نفسه، ص ( ٢٦٣ ) .

(٣)انظر التسهيل ( ٧٢/١ ) .

(٤)انظر إعجاز القرآن، ص ( ٥٤ ) .

٦ - قال الإمام الرازي : " ... أما قوله : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(١)] ففيه سؤال، وهو أنه يلزم أن يكونوا أفضل من محمد عليه السلام، وذلك باطل بالاتفاق، والجواب عنه من وجوه :

أحدها : قال قوم : العالم عبارة عن الجمع الكثير من الناس، كقولك : رأيت عالماً من الناس، والمراد منه الكثير لا الكل، وهذا ضعيف؛ لأنّ لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل؛ فكل ما كان دليلاً على الله تعالى كان عالماً فكان من العالم . وهذا تحقيق قول المتكلمين : العالم كل موجود سوى الله، وعلى هذا لا يمكن تخصيص لفظ العالم ببعض المحدثات .

ثانيها : المراد فضلتكم على عالمي زمانكم؛ وذلك لأن الشخص الذي سيوجد بعد ذلك وهو الآن ليس بموجود لم يكن ذلك الشخص من جملة العالمين حال عدمه؛ لأن شرط العالم أن يكون موجودًا، والشيء حال عدمه لا يكون موجودًا، فالشيء حال عدمه لا يكون من العالمين، وأن محمدًا عليه السلام ما كان موجودًا في ذلك الوقت، فما كان ذلك الوقت من العالمين، فلا يلزم من كون بني إسرائيل أفضل العالمين في ذلك الوقت كونهم أفضل من محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ذلك الوقت .

وهذا هو الجواب - أيضاً - عن قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)]وقال : ﴿ وَلَقَدِ

(١)سورة البقرة، الآية : ٤٧ .

(٢)سورة المائدة، الآية : ٢٠ .

ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(١)]، وأراد به عالمي ذلك الزمان، وإنّما كانوا أفضل من غيرهم؛ بما أعطوا من الملك والرسالة والكتب الإلهية .

وثالثها : أن قوله : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)]عام في العالمين لكنه مطلق في الفضل، والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة، فالآية تدل على أن بني إسرائيل فضلوا على العالمين في أمرٍ ما [(٣)]، وهذا لا يقتضي أن يكونوا أفضل من كل العالمين في كل الأمور، بل لعلهم وإن كانوا أفضل من غيرهم في أمر واحد فغيرهم يكون أفضل منهم فيما عدا ذلك الأمر، وعند ذلك يظهر أنه لا يصح الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٤)]على أن الأنبياء أفضل من الملائكة" [(٥)].

ونبَّه الإمام ابن كثير على الجواب الثّالث الذي ذكره الرازي ــ بعد أن فسر الآيـــة على الجواب الثاني ــ فقال : "وقيل المراد : تفضيل بنوع ما من الفضل على سائر الناس، ولا يلزم تفضيلهم مطلقـــاً، حكاه الرازي وفيه نظر" [(٦)].

١ ــ الأقوال في معنى قوله تعالى:﴿ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٧)]

---

(١)سورة الدخان، الآية : ٣٢ .

(٢)سورة البقرة، الآية : ٤٧ .

(٣)في النسخة المنقول عنها : "في أمرها" ،والتصويب من نسخة أُخرى .

(٤)سورة آل عمران، الآية : ٣٣ .

(٥)التفسير الكبير ( ٣/٤٩، ٥٠ ) .

(٦)تفسير القرآن العظيم ( ١/٩٠ ) .

(٧)سورة البقرة، الآية : ٤٧ .

خمسة، ثلاثة منها ذكرها الرازي . والرابع : أن المقصود من آمن من بني إسرائيل[1]. والخامس : أن المقصود من آمن من بني إسرائيل بمحمد صلى الله عليه وسلم[2].

٢ ــ هــذا القول الذي ذكره الرازي ــ ونبّه عليه ابن كثير ــ قد أورده طائفــة من المفسّرين على أنه مما يمكن حمل الآية عليه، منهم القرطبي [3]، وابن جُــزيّ [4]، وأبو حيان[5]، والنيسابوري[6]، وربما كان ذكر بعضهم لهذا القول متابعة منه لما وجده في التفسير الكبير .

على أن من هؤلاء من عيَّن الوجه الذي فُضلوا به، وهو أن الله تعالى قد بعث فيهم من الأنبياء ما لم يُبعث في غيرهم [7].

٣ ــ في نظــري أن هذا التنبيه وارد على الرازي، فهذا القول ضعيف ولا ينبغي حمل الآية عليه للأسباب التالية :

أ ــ أنه يقتضي إثبات فضيلة لبني إسرائيل على هذه الأمة، وذلك باطل؛ لأنّ النصوص قد جاءت بتفضيل هذه الأمة على سائر الأمم منها قوله تعالى :

---

(١)انظر غرائب التفسير ( ٢٧٨/١ )، وهو يعني المؤمنين الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا .

(٢)انظر بحر العلوم ( ١١٦/١ ) .

(٣)انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٣٧٦/١ ) .

(٤)انظر التسهيل ( ٨١/١ ) .

(٥)انظر البحر ( ٣٤٦/١ ) .

(٦)انظر غرائب القرآن ( ٢٧٨/١ ) .

(٧)انظــر الجامع لأحكام القرآن ( ٣٧٦/١ )، والتسهيل ( ٨١/١ ) ،والبحر المحيط ( ٣٤٦/١ ) وقد سبقهم إلى هذا التعليل الرازي كما رأيت في كلامه .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [1] فهذا يكون ناسخاً لما جاء في سورة البقرة، وفي سورة الشريعة[2] وغيرهما[3].

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يؤكد هذه الآية، فروى الإمام الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [4] قال : **"إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله"** [5].

قال الإمام الترمذي : هذا حديث حسن[6].

فإن قلت : قد جاء في تفسير هذه الآية أنه يعني بها المهاجرين، أو أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم[7].

---

(١)سورة آل عمران، الآية : ١١٠ .

(٢)أعني سورة الجاثية في الآية رقم ( ١٦ ) .

(٣)مثل سورة الأعراف، في الآية رقم ( ١٤٠ ) .

(٤)سورة آل عمران، الآية : ١١٠ .

(٥)سنن الترمذي ( ٥/٢٢٦ )، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، ح ( ٣٠٠١ )، وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك ( ٤/٩٤ ) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
ووافقه الذهبي فقال : صحيح . والحديث في غير هذين المصدرين .

(٦)سنن الترمذي ( ٥/٢٢٦ ) .

(٧)انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ( ٢/٤٧٠، ٤٧١ )، والمستدرك ( ٢/٣٢٣ )، والدر المنثور ( ٢/٦٣ ) .

قلت: يُحمل ذلك على أنه أراد أن يمثل للعام ببعض أفراده، و لم يرد قصرها.

ب ــ أن بني إسرائيل قد سقط فضلهم منذ مبعث عيسى عليه السلام، فإنهم كفــروا بــه، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد صلى الله عليه وسلم . فمن أين نجد لهم شيئــًا من الفضل، قليلاً أو كثيرًا؟!

جـــ ــ أن أحسن ما يمثل للفضل الذي ذكر لبني إسرائيل، هو كثرة الأنبياء الذين بعثوا فيهم، بل لعل هذا هو المتعيّن؛ لأنه لا يُعرف لهم من الفضل غير هذا، وقد أشارت إليه الآية في سورة المائدة : ﴿ **إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا** ﴾[1] .

أما الملك فهو وإن كان مما يفضل به البشر فتبقى فضيلته محدودة مقصورة، فلم يبق إلاّ كثرة الأنبياء . وهذا لا يدل على فضل بني إسرائيل من وجهين :

الأول : أن كثـــرة الأنبياء لا تدل على فضيلة للقوم، بل تدل على أنهم قوم منحرفون عن شرع الله تعالى، فكثُرت فيهم الأنبياء لتردهم إلى الحق وتذكرهم بأحكام التوراة .

الثاني : أن المشهور عن بني إسرائيل أنهم قتلة الأنبياء، قال الله تعالى : ﴿ **وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ﴾[2] وقال : ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو**

---

(١)سورة المائدة، الآية : ٢٠ .

(٢)سورة البقرة، الآية : ٦١

بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [1]، وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [2] فلا يصلح والحال هذه أن نفضلهم على هذه الأمة بما كان هو السبب في طردهم عن رحمة الله والغضب عليهم، فهم لم يؤمنوا بهؤلاء الأنبياء بل قتلوهم، فهل يصلح بعد هذا أن نقول : إنهم فضلوا علينا بما لم يؤمنوا به ؟!

فإن قلت : إن التفضيل ليس لهؤلاء القتلة المكذبين، وإنما هو لبني إسرائيل المؤمنين الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا [3].

قلت : هؤلاء لا ندفع فضلهم ولكن فضلهم إنما هو على عالمي زمانهم، كما هو في الجواب الثاني عند الرازي، وهذا القول هو القول الذي تؤيده النصوص التي تقدم نقلها في الفقرة ( أ ) وعليه قول طائفة من فحول المفسرين، كمجاهد، وقتادة، وابن زيد[4]، وابن جرير، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والآلوسي[5].

وأما الأقوال الأُخر فلا تخلو من ضعف مثل القول الأول الذي أجاب به

---

(١)سورة آل عمران، الآية : ١١٢ .

(٢)سورة النساء، الآية : ١٥٥ .

(٣)انظر أنوار التنزيل ( ١/٥٥ ) و محاسن التأويل ( ١/٢٨٧ ) .

(٤)انظر تفسير القرآن لعبد الرزاق ( ١/٤٤، ٤٥ )، وجامع البيان( ٢/٢٤).

(٥)انظر جامع البيان ( ٢/٢٣، ٢٤ )، والوسيط ( ١/١٣٣ )، ومعالم التنزيل ( ١/٦٩ )، والمحرر الوجيز ١/٢٠٨) ،وروح المعاني ( ١/٢٥٠ ) .

الرازي فقد ضعفه كما رأيت، وأصله للزمخشري[1].

وأمـــا قول من قال : إن التفضيل لمن آمن من بني إسرائيل بمحمد صلى الله علـــيه وسلم فلا شك أن لهؤلاء فضيلة، دل عليها قوله صلى الله عليه وسلم : "**ثلاثـــة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله علـــيه وســـلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران**"[2].

إلاّ أن ســـياق الآيات يدل على أن هذا الامتنان على بني إسرائيل الذين لم يؤمنوا، ذكّرهم النعمة التي تفضل بها على أصولهم .

فإن قلت : فماذا تقول في العموم الصريح التي دلّت عليه الألف واللام في قوله :﴿ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ؟ فالجواب عنه من ثلاثة وجوه :

الأول : يقال فيه مثل ما يقال في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾ [3] فإذا كان مخرج هذه الآية العموم، ومعناها الخصوص، فكذلك قوله : ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [4].

---

(١)انظر الكشاف ( ٢٧٨/١ ) .

(٢)الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه - مـــع الفـــتح - ( ١٩٠/١ ) كـــتاب العلم، باب تعليم الرجل أمَته وأهله، ح ( ٩٧ )، ومسلم في صـــحيحه ( ١٣٤/١، ١٣٥ )، كـــتاب الإيمـــان، ح ( ١٥٤ ) .والحـــديث احتج به أبو الليث السمرقندي على هذا القول . انظر بحر العلوم ( ١١٦/١ ) .

(٣)سورة آل عمران، الآية : ١٧٣ .

(٤)سورة البقرة، الآية : ٤٧ .

قال الإمام ابن قتيبة : "وهو من العام الذي أُريد به الخاص" [1].

وقال الإمام ابن جرير الطبري :"قوله: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [2] مُخرَج العموم، وهو يريد به خصوصـــاً" [3]، وكذلك قاله غيرهما[4].

الثـــاني : وقد تقدم ـــ : أن هذا العموم منسوخ .

الـــثالث : أن العالمين هم من كان قد برز إلى الوجود في ذلك الزمان، فلا يدخل في هذا من لم يكن برز إلى الوجود[5]. كما يقول الملك لمن أنعم عليه : إني فضلتك على الناس، فهو يعني الموجودين من الناس في زمن المفضل .

٧ - **نقل الإمام الرازي** عن السدي خبرًا طويلاً يتعلق بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [6]وفيه أن السبعين الذين اختارهم موسى بعد أن أحياهم الله قالوا لموسى إنك لا تسأل الله شيئـــاً إلاّ أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعاه بذلك فأجاب الله دعوته وجعلهم أنبياء[7].

ونـــبَّه الإمام ابن كثير على حكاية الرازي لهذا القول مع أنه غريب فقال : "وقـــد أغـــرب الرزاي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد

---

(١)تفسير غريب القرآن، ص ( ٤٨ ) .

(٢)سورة البقرة، الآية : ٤٧ .

(٣)جامع البيان ( ٢/ ٢٤ ) .

(٤)انظر فتح البيان ( ١/ ١٣٤ ) .

(٥)انظر نظم الدرر ( ١/ ٣٤٥، ٣٤٦ ) .

(٦)سورة البقرة، الآية : ٥٦ .

(٧)انظر التفسير الكبير ( ٣/ ٧٩ ) .

إحـــيائهم قالوا : يا موسى إنك لا تطلب من الله شيئـــًا إلاّ أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فأجاب الله دعوته . وهذا غريب جدًّا إذْ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون" [1].

هـــذا الخـــبر ــ الذي نقله الرازي ــ أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره[2]، وكذلك أخرجه في التاريخ[3].

وأورده ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ[4]، وكذلك أورده جماعة من المفسرين عند تفسير هذه الآية، ولم يعترضوا عليه بشيء [5]. سوى أن بعضهم أورده بصيغة التمريض مثل أبي حيان[6].

---

(١)تفسير القرآن العظيم ( ٩٥/١ ) .

(٢)انظـــر جامع البيان ( ٨٧/٢، ٨٨ ) فقد ساقه بهذا السند : حدثني موسى بن هارون، قال : حدثنا عمرو بن حماد،قال : حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي .

وموســـى بن هارون لعله : موسى بن هارون بن عبد الله الحمال . قال الحافظ : ثقة حافظ كبير، بغـــدادي مـــن صغار الحادية عشرة مات سنة أربع وتسعين ومئتين . ذكره تمييزًا . التقريب رقم ( ٧٠٢٢ ) وانظر السير ( ١١٦/١٢ ) إلاّ أن الشيخ أحمد شاكر ذكر أنه لم يقف له على ترجمة . انظر جامع البيان ( ١٥٦/١ ) حاشيته .

وعمرو بن حماد هو القنّاد . قال الحافظ : صدوق رمي بالرفض، ثم أشار إلى أنه من رجال مسلم .التقـــريب رقم ( ٥٠١٤ ) . وأسباط بن نصر . قال الحافظ فيه : صدوق كثير الخطأ يُغرب، ثم أشـــار إلى أنه من رجال مسلم . التقريب رقم ( ٣٢١ ) . والسدي هو : إسماعيل بن عبد الرحمن ابـــن أبي كـــريمة . قال الحافظ : صدوق يهم ورمي بالتشيع، ثم أشار إلى أنه من رجال مسلم . التقريب رقم ( ٤٦٣ ) .

(٣)انظر منه ( ٢٥٣/١ ) .

(٤)انظر منه ( ١٤٧/١ ) .

(٥)انظـــر الـــنكت والعـــيون ( ١٢٣/١ )، والمحرّر الوجيز ( ٢٢٦/١ )،والبحر المحيط ( ٣٧٣/١ )، وغرائب القرآن (٢٩٠/١، ٢٩١).

(٦)انظر البحر ( ٣٧٣/١ ) .

نعم العلاّمة الآلوسي وصف إعادة الشكر إلى كونه بعثهم أنبياء بالبعد فقال : "وفي بعض الآثار أنه لما أحياهم الله تعالى، سألوا أن يبعثهم أنبياء ففعل، فمتعلق الشكر حينئذ على ما قبل هذا البعث . وهو بعيد" (١).

وقد رجعت إلى الآية التي في سورة الأعراف، وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ﴾ (٢) فوجدت الإمام ابن جرير يسند أثرًا إلى عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - وفيه : "فأحياهم الله وجعلهم أنبياء" (٣).

وهذا الأثر نقله ابن كثير في تفسيره ثم قال : "هذا أثر غريب جدًّا، وعمارة ابن عبد(٤) هذا لا أعرفه، وقد رواه شعبة عن أبي إسحاق عن رجل من بني

---

(١)روح المعاني ( ٢٦٣/١ ) .

(٢)سورة الأعراف، الآية : ١٥٥ .

(٣)انظر جامع البيان ( ١٤٢/١٣ ) فقد أسنده بقوله : حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا : حدثنا يحيى ابن يمان، قال : حدثنا سفيان، قال : حدثني أبو إسحاق، عن عمارة بن عبد السلولي، عن علي رضي الله عنه .
وهذا الأثر أورده السيوطي في الدر المنثور ( ١٢٨/٣ )، ونسب إخراجه إلى ابن جرير وغيره .
قلت :مدار هذا الأثر على عمارة بن عبد السلولي . وقد اختلف في توثيقه . فالإمام العجلي قال فيه : كوفي تابعي ثقة، روى عنه أبو إسحاق السبيعي . تاريخ الثقات، ص (٣٥٤).وسُئل عنه الإمام أحمد فقال : مستقيم الحديث . وقال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول لا يحتجّ بحديثه . انظر الجرح والتعديل ( ٣٦٧/٦ ) . ونقل الذهبي ما قال الإمام أحمد وأبو حاتم و لم يزد على ذلك . انظر ميزان الاعتدال ( ١٧٧/٣ ) .

(٤)في النسخة المنقول عنها "عبيد" ،والصواب "عبد" ،كما في نسخة أخرى، وكما هو في كتب التراجم .

سلول عن عليّ فذكره" [1].

قلت : رواية شعبة هذه أخرجها الطبري في تفسيره[2].

وأثر عليّ هذا نقده الآلوسي - أيضـًا - بقوله : "لا يكاد يصح فيما أرى لتضافر الآثار بخلافه، وإباء ظواهر الآيات عنه" [3].

وأورده ابـن عطية في تفسيره بصيغة التمريض "رُوي" [4] وكذلك فعل أبو حيان[5].

وأمـا القرطبي فقد ساقه بسند بعض المحدثين من طريق عمارة بن عبد عن علي[6].

وبعـد : فالذي ظهر لي - بعد هذا كله - أن تنبيه ابن كثير وارد على هذا القول الذي نقله الرازي للأسباب الآتية :

١ ـ لمـا ذكـره الإمام ابن كثير بقوله : لا يُعرف في زمن موسى نبي غير هارون، ثم يوشع بن نون .

وقد تابع الآلوسي ابن كثير فجاء عنه ما يفيد ضعف الأثرين .

٢ ـ لو كان هؤلاء السبعون جُعلوا أنبياء في زمن موسى لاشتهر ذكرهم في كـتب التفاسير والتواريخ، ولكن على العكس من هذا نجد أكثر المفسرين لم

---

(١)تفسير القرآن العظيم ( ٢٥١/٢ ) .

(٢)انظر جامع البيان ( ١٤٢/١٣ ) .

(٣)روح المعاني ( ٧٤/٩ ) .

(٤)انظر المحرر الوجيز ( ١٧٣/٧، ١٧٤ ) .

(٥)انظر البحر ( ٣٩٩/٤ ) .

(٦)انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٢٩٤/٧، ٢٩٥ ) . وفي لفظه اختلاف عمّا في جامع البيان .

يذكروا أنهم كانوا أنبياء[1]، بل إن بعضهم يورد الأثر المذكور عن السُّدّي دون أن يذكر النبوَّة [2] .

أمّا من ذكرهم بالنبوة من المفسرين فالغالب أنه تأثر بما نقله الإمام الطبري، ثم إن المحققـين من هؤلاء المفسرين أورده بصيغة التمريض التي تفيد الشك في ثبوته .

٣ ـ لم يخـل إسناد الروايتين من مقال، وعلى فرض ثبوته عن السُّدّي فلا يبعد أنه أخذه عن أهل الكتاب .

٤ ـ قـد قال بعض المفسرين : إن هؤلاء السبعين هم الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة [3]، وقيل : إنهم من عبدة العجل[4]، ويبعد فيمن هذا حالـه أن يـنال رتـبة النبوّة، كيف وقد جعل الله ذلك مذمة لبني إسرائيل، وفُضِحوا به بين الأمم .

لكـن قـد يُعذر الإمام الرازي لأنه وجد شيئـاً فنقله، كما فعل غيره من المفسرين .

**٨ – قال الإمام الرازي – عند قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ**

---

(١)وكـذلك المؤرخـون، ويبدو أن من ذكره منهم تابع فيه الطبري، ثم إن الطبري ومن أورده ذكروه عرضـاً، ولم يحفلوا بجعل عنوان مستقل له كما هي عادتهم في الأحداث المهمة .

(٢)انظـر الوسـيط ( ٤١٥/٢ )، ولباب التأويل في معاني التنـزيل . ( ٢/٢٩٤ )وقد ساقه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١٧٣/١ ) قال : حدثنا أبو زرعة، ثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط عن السدي ولم يذكر فيه أنهم جعلوا أنبياء . وهذا مما يشكك في ثبوته عن السُّدّي

(٣)انظر زاد المسير ( ٢٦٩/٣ )، والمحرر الوجيز ( ١٧٢/٧ )، ومعالم التنـزيل ( ٢٠٣/٢ ) .

(٤)انظر المراجع في الحاشية السابقة ـ ما عدا زاد المسير ـ نفس الجزء والصفحة .

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [1]- : " أما القرية فظاهر القرآن لا يدل على عينها، وإنما يرجع في ذلك إلى الأخبار، وفيه أقوال . أحدها ــ وهو اختيار قتادة والربيع وأبي مسلم الأصفهاني ــ : أنها بيت المقدس، واستدلوا عليه بقوله تعالى ــ في سورة المائدة ــ : ﴿ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [2] ولا شك أن المراد بالقرية في الآيتين واحد . وثانيها : أنها نفس مصر . وثالثها : ــ وهو قول ابن عباس وأبي زيد ــ[3]: أنها أريحاء [4]، وهي قريبة من بيت المقدس، واحتج هؤلاء على أنه لا يجوز أن تكون تلك القرية بيت المقدس؛ لأن الفاء في قوله تعالى :﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [5] تقتضي التعقيب فوجب أن يكون ذلك التبديل وقع منهم عقيب هذا الأمر في حياة موسى، لكن موسى مات في أرض التيه[6]، ولم يدخل بيت المقدس، فثبت أنه ليس المراد من هذه القرية بيت المقدس . وأجاب الأولون بأنه ليس في هذه الآية أنا قلنا لهم : ادخلوا هذه القرية على لسان موسى أو على لسان يوشع، وإذا

(١)سورة البقرة، الآية : ٥٨ .

(٢)سورة المائدة، الآية : ٢١ .

(٣)هكذا "أبو زيد" والصواب ــ والله أعلم ــ "ابن زيد" كما في جامع البيان ( ١٠٣/٢ ) .

(٤)قرية بالشام سميت باسم أريحا بن لَمَلك بن أرفخشد بن سام بن نوح، وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردُنّ بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك . انظر معجم ما استعجم ( ١٤٣/١ )، ومعجم البلدان ( ١٩٦/١ ) .

(٥)سورة البقرة، الآية : ٥٩ .

(٦)هــي أرض بــين أيلة ومصر وبحر القُلْزُم ــ البحر الأحمر ــ وجبال السراة من أرض الشام . انظر معجم البلدان(٨١/٢).

حملناه على لسان يوشع زال الإشكال"[1].

ونـــبَّه الإمام ابن كثير على القول الثاني بأنه أبعد الأقوال ــ وذلك بعد أن حكى الأقوال الثلاثة ورجح القول الأول، ووصف الثالث بأنه بعيد[2]ــ فقال :

"وأبعـــد مـــن ذلـــك قول من ذهب إلى أنها مصر، حكاه الرازي في تفسيره، والصـــحيح الأول أنها بيت المقدس، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين ســـنة مـــع يوشـــع بن نون عليه السلام، وفتحها الله عليهم عشية جمعة، وقد حُبست لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح" [3].

التعليق على هذه المسألة بما يلي :

١ ــ لا يقصـــد ابن كثير بهذا التنبيه لوم الرازي، على إدخاله لهذا القول في تفسيره وإنما يقصد التنبيه على ضعف القول فحسب على أنّ الظاهر من كلام الرازي أنه غير مقتنعٍ بهذا القول،وإنما حكاه حكاية؛ لأنه قد وجد من يقول به .

٢ ــ وقع الخلاف في بيان المقصود بالقرية، وأكثر ما رأيت فيها من أقوال عند أبي حيان، حيث نقل فيها أحد عشر قولاً، هي ما يلي :

١ - بـــيت المقدس ٢ - أريحا ٣ - الرملة ٤ - أيلة [4]٥ - الأردن ٦ - فلســـطين ٧ - البلقاء ٨ - تَدْمُر [5]٩ - مصر ١٠ - قرية بقرب بيت المقدس غير معيَّنة أُمروا بدخولها ١١ ــ الشّام [6]. وذكر ابن عاشور ما يوفي اثني عشر

---

(١)التفسير الكبير ( ٣/٨٢، ٨٣ ) .

(٢)انظر تفسير القرآن العظيم ( ١/٩٩ ) .

(٣)المصدر نفسه ( ١/٩٩ ) .

(٤)مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وهي المدينة التي مُسخ فيها اليهود قردة وخنازير . انظر معجم البلدان ( ١/٣٤٧ ) .

(٥)مدينة قديمة مشهورة في برية الشام .انظر معجم ما استعجم (١/٣٠٦) ،ومعجم البلدان ( ٢/ ٢٠).

(٦)انظر البحر المحيط ( ١/٣٨٢ ) .

فقال : "حبرون" (١).

٣ ــ وصْفُ ابن كثير لقول من قال : إنها مصر بأنه أبعد الأقوال هو كذلك بالنسبة للأقوال التي ذكرها هو، وقد يكون أبعد الأقوال على الإطلاق؛ وذلك أن بني إسرائيل خرج بهم موسى ــ عليه السلام ــ من مصر، ثم أمره الله أن يدخل بهم قرية، وهذه القرية وإن لم تُبيّن لنا أوصافها في هذه الآية، ولا في آية الأعراف (٢) ، فقد وصفها الله تعالى بأوصاف في سورة المائدة تبين أنها غير مصر، حيث قال الله تعالى فيما قص لنا من خبر موسى ــ عليه السلام ــ مع قومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ (٣) إلى آخر هذا القصص الذي يتبين منه أن موسى ــ عليه السلام ــ طلب من قومه مواجهة عدو آخر غير فرعون في قرية غير مصر .

ثم إن أهـــل التاريخ ــ فيما رأيت ــ لم يذكروا أن موسى أمر بني إسرائيل بدخـــول مصر، وإنما ذكروا أن موسى عليه السلام ــ بعد أن أهلك الله تعالى علـــى يديه فرعون وجنده ــ بعث جندين كل جند اثنا عشر ألفـــًا إلى مدائن فرعون، وهي يومئذ خالية من أهلها، لم يبق فيها غير النساء والصبيان والزمنى، فدخلـــوا البلاد وغنموا الأموال، وحملوا ما أطاقوا، وباعوا ما عجزوا عن حمله

---

(١)انظر التحرير والتنوير ( ٥١٣/١ ) . و"حَبْرون" اسم القرية التي فيها إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــــ وقد غلب عليها اسم الخليل، وبينها وبين بيت المقدس ــ حسب وسائل النقل القديمة ــ يوم واحد . انظر معجم البلدان ( ٢٤٥/٢ ) .

(٢)الآية رقم ( ١٦١ ) وستأتي .

(٣)سورة المائدة، الآية : ٢١ .

على غيرهم [1].

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد قال في الآية الأخرى : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [2] ومعلوم أن بني إسرائيل لم يؤمروا بسكنى مصر على لسان موسى ولا غيره من أنبياء بني إسرائيل فيما نعلم، وإنما أمروا بسكنى الأرض المقدسة، والأرض المقدسة يُجزم أنها غير مصر .

ثم شيء آخر في قوله : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ [3]،وأيضاً قوله : ﴿ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ [4]يدل على أن القوم في مواجهة عدو قد استولى خوفُه على قلوبهم الرعديدة،فأراد من أمرهم بذلك أن يرغبهم ويثبتهم لعلهم يتشجّعون فيدخلون.

وهذا وإن كان لا يلزم من الآية، فإنه يفهم على ضوء آيات أُخر وصفت لنا أخلاق بني إسرائيل .

ومما يدل على أن هذا القول هو كما وصفه ابن كثير أنني نظرت في جميع كتب التفسير المشهورة المتداولة فلم أجد من يذكر هذا القول غير الرازي، وأبي حيان، ولعلّ أبا حيان تابع الرازي في ذكره .

ثم إن أبا حيان لا أراه قد سكت على ضعف هذا القول، بل أشار إلى ضعفه، وإلى ضعف غيره من الأقوال، وذلك أنه قال : "والقرية هنا بيت المقدس

(١)انظر الكامل في التاريخ ( ١/١٤٤، ١٤٥ ) .

(٢)سورة الأعراف، الآية : ١٦١ .

(٣)سورة البقرة، الآية : ٥٨ .

(٤)سورة الأعراف، الآية : ١٦١ .

في قول الجمهور، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي والربيع وغيرهم" [1]، ثم حكى جميع الأقوال الأُخر مصدرة بلفظ "قيل"، ثم قال : "وقد رُجِّح القول الأول لقوله في المائدة : ﴿ ٱدۡخُلُوا۟ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴾ [2]" [3].

٤ ــ إذا نظرت إلى الأقوال الأُخر رأيتها كلها تجعل هذه القرية في جهة بلاد الشـــام، أو هي بلاد الشّام، وبعضها أقرب من بعض، وأولاها بالصواب ــ إن شـــاء الله تعالى ــ قول من قال : إنها بيت المقدس؛ لدلالة الآية التي في سورة المائدة عليه [4]؛ ولأن هذا القول منقول عن صحابة [5]وتابعين[6]، وحسبك فهم صحابة الرسول وتلاميذهم لكتاب الله تعالى؛ ولأن هذا القول ذهب إليه جمهور المفســـرين[7]، بـــل إن بعض المفسرين أعرض عن ذكر الخلاف في تفسير هذه

---

(١)البحر المحيط ( ١/٣٨٢ ) .

(٢)سورة المائدة، الآية : ٢١ .

(٣)البحر المحيط ( ١/٣٨٢ ) .

(٤)وهي قوله تعالى : ﴿ يا قومي ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾ .

(٥) لم أقـــف علـــيه مســـندًا ــ فيما رأيت ــ وممن نسبه إلى بعض الصحابة أبو حيان في البحر ( ١/ ٣٨٢)، والآلوسي في روح المعاني ( ١/٢٦٥ )، والهندي في فتح البيان ( ١/١٤٥ )، وابن الجوزي في زاد المســـير ( ١/٨٤ ) . وما جاء عن ابن عباس أنها أريحا قد ذكره ابن الجوزي بلفظ : "رُوي" وكأنه لا يرى ثبوته عنه .

(٦)أســـنده عبد الرزاق في تفسير القرآن ( ١/٤٦ ) عن قتادة، وأسنده ابن جرير في تفسيره ( ٢/١٠٢، ١٠٣ ) عن السدي والربيع وقتادة، وكذلك أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره ( ١/١٨١ ) عن هؤلاء الثلاثة .

(٧)انظـــر المحـــرر الوجيز ( ١/٢٢٩، ٢٣٠ )، والجواهر الحسان(١/٨٨)،وروح المعاني ( ١/٢٦٥ )، والجامع لأحكام القرآن ( ١/٤٠٩ ) .

الآية، فكأنه لا يرى الأقوال الأُخر شيئـــاً [1].

ومـــا ذُكر من اعتراض على هذا القول قد أُجيب عنه كما نقل ذلك الإمام الرازي .

**٩ - قال الإمـــام الـــرازي** ـــ عند قوله تعالى : ﴿ **يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ** ﴾ [2]ـــ : "واعلم أن الكلام في السحر يقع من وجوه" [3]، ثم ذكرها إلى أن قال : "المسألة الخامسة : في أن العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك؛ لأن العلم لذاته شريف، وأيضـــاً لعموم قوله تعالى : ﴿ **هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [4]؛ ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجز، والعلم بكون المعجز معجزًا واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبـــاً، وما يكون واجبـــاً كيف يكون حرامـــاً وقبيحـــاً" [5].

ونبَّه الإمام ابن كثير على أن ما ذهب إليه الرازي فيه نظر ـــ وذلك بعد أن نقل كلامه السابق ـــ فقال : "وهذا الكلام فيه نظر من وجوه أحدها : قوله : العلم بالسحر ليس بقبيح، إن عنى به ليس بقبيح عقلاً فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا، وإن عنى أنه ليس بقبيح شرعـــاً ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلم السحر، وفي الصحيح : "**من أتى عرافـــاً أو كاهنـــاً فقد كفر بما أنزل على**

---

(١)انظـــر تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم ( ١/١٠٩ )، وبدائع التفسير الجامع لتفسير ابن القيم ( ١/٣١٥ ) .

(٢)سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .

(٣)التفسير الكبير ( ٣/١٨٦ ) .

(٤)سورة الزمر، الآية : ٩ .

(٥)التفسير الكبير ( ٣/١٩٤ ) .

**محمد"** [1]، وفي السنن : **"من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر"** [2].

وقوله : ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك . كيف لا يكون محظورًا مع ما ذكرناه من الآية والحديث، واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء، أو أكثرهم، وأين نصوصهم على ذلك ؟، ثم إدخاله علم السحر في عموم قوله تعالى : **﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [3] فيه نظر؛ لأنّ هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي، ولِمَ قلت : إن هذا منه ؟ . ثم ترقيه إلى وجوب تعلّمه بأنه لا يحصل العلم بالمعجز إلاّ به ضعيف بل فاسد؛ لأن أعظم معجزات رسولنا ــ عليه الصلاة والسلام ــ هي القرآن العظيم الذي لا يأتيه البـــاطل من بين يديه ولا من خلفه تنـــزيل من حكيم حميد .

ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً، ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة، والتابعين، وأئمة المسلمين، وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره، ولم يكونوا يعلمون السحر، ولا تعلموه، ولا علموه . والله أعلم" [4].

نقـــل الإمام برهان الدين البقاعي أن العلماء اختلفوا في حكم تعلم السحر

---

(١)الـــذي رأيته في صحيح مسلم المطبوع : "من أتى عرّافـــًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة" صحيح مسلم ( ١٧٥١/٤ ) رقم ( ٢٢٣٠ ) .

(٢)أخـــرجه النسائي في السنن ( ١١٢/٧ ) "الحكم في السحرة" رقم (٤٠٧٩).وقال الشيخ الألباني- رحمه الله - : ضعيف. انظر ضعيف سنن النسائي، ص ( ١٦٣ ) .

(٣)سورة الزمر، الآية : ٩ .

(٤)تفسير القرآن العظيم ( ١٤٥/١، ١٤٦ ) .

علـــى ثلاثـــة أقوال : أحدها : أنه حرام، والثاني : أنه مكروه، والثالث : أنه مباح [1].

ونحـــو هذا ذكر الإمام الآلوسي في حكم تعلمه وتعليمه، إلاّ أنه زاد قولاً رابعـــاً بدأ بذكره، وهو أن تعلمه وتعليمه كفر، فقال : "واختلف في تعليمه وتعلمـــه . فقيل : كفر لهذه الآية إذْ فيها ترتيب الحكم على الوصف المناسب، وهـــو مشعر بالعلية ... وقيل : إنهما حرامان ــ وبه قطع الجمهور ــ وقيل : مكـــروهان، وإلـــيه ذهـــب الـــبعض . وقيل : مباحان، والتعليم المساق للذم هنا محمول على التعليم للإغواء والإضلال، وإليه مال الإمام الرازي" [2]، ثم نقل الآلوسي أدلة الرازي المتقدمة [3].

قلت : ويظهر أن هناك من يميل إلى القول الذي ذهب إليه الرازي، فقد قال الـــواحدي : "ولا يكون تعليم السحر إذا كان إعلامـــاً كفرًا، ولا تعلمه إذا كان على معنى الوقوف عليه ليجتنبه كفرًا، كما أن من عرف الزنى لم يأثم، إنما يأثم بالعمل" [4].

ونحو هذا ذكر الزجاج في معاني القرآن وإعرابه [5]، وكذلك غيره ذكر نحو

---

(١)انظـــر نظـــم الدرر ( ٧٦/١ ) فقد نقل ذلك عن الأصفهاني . وهو محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصـــفهاني أبـــو الثناء، فسَّـــر القـــرآن وتقـــدّم في الفنون، كان شيخ الإسلام ابن تيمية يعظمه ( ت : ٧٤٩هـ ) انظر بغية الوعاة ( ٢٧٨/٢ ) ،وطبقات المفسرين للداودي ( ٣١٣/٢ )، والأعلام ( ١٧٦/٧ ) .

(٢)انظر روح المعاني ( ٣٣٩/١ ) .

(٣)انظر المصدر نفسه ( ٣٣٩/١ ) .

(٤)الوسيط (١٨٥/١).

(٥)انظر منه ( ١٨٣/١، ١٨٤ ) .

هذا على أنه مما يجوز أن يُفهم من قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [(١)] [(٢)].

ذكرت هذا لتعلم أن هناك من يقترب مما ذهب إليه الرازي، ولكن لم ينص أحد من هؤلاء على أن تعلم السحر جائز مباح .

وأما البيضاوي فقد تابع الرازي؛ فإنه قال : "وفيه دليل على أن تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور، وإنما المنع من اتباعه والعمل به"[(٣)].

ولكن ما هي أدلة هذه الأقوال الثلاثة ؟

١ ــ أمَّا مَنْ قال : إنه كفر فظاهر الآية يدل لما ذهب إليه، وهو واضح من قوله :﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [(٤)] فجملة ﴿ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ ظاهرها أنها حال من فاعل ﴿ كَفَرُواْ ﴾ ؛ فالمعنى : كفروا حال كونهم معلمين[(٥)]. وإذا كفر المعلم، فالمتعلم مثله . وكذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [(٦)]أي لا تتعلمه فتكفر

---

(١)سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .

(٢)انظر غرائب التفسير ( ١/١٦٢، ١٦٣ ) .

(٣)أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل ( ١/٧٤ ) . وكلام النيسابوري في غرائب القرآن ( ١/٣٥٣ ) يُفهم منه أنه يرى هذا الرأي . أعني جواز تعلم السحر .

(٤)سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .

(٥)انظر الدر المصون ( ٢/٣٠ )، والتبيان في إعراب القرآن (١/٩٩)،وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في قوله : ﴿ وما كفر سليمان ﴾ أي بتعلم السحر فلم يتعلمه . تيسير الكريم المنان ( ١/٨١ ) .

(٦)سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .

بذلك[1].

وقد ذكر الآلوسي وجه دلالة الآية لهذا القول فيما نقلته قبل قليل، فيُراجع ذلك .

فإن قيل : إنما الكفر بالاعتقاد والعمل[2].

قلت : لم يذكر إلاّ التعليم اللازم عنه التعلم، ورتب عليه الحكم بالكفر .

٢ ـــ وأمَّا مَنْ قال : إنه حرام فأدلته كثيرة منها ما ذكره ابن كثير، وأصرح موضع يدل على أن تعلمه حرام قوله تعالى : **﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾** [3] ففيه التصريح بأن تعلم السحر لا يعود على المتعلم بفائدة، ولا يجلب إليه منفعة، بل هو ضرر محض[4]. وإذا كان كذلك فتعلمه حرام .

وأيضـــاً قـــوله صلى الله عليه وسلم : "**اجتبوا السبع الموبقات**" قيل : يا رسول الله : وما هن ؟ . قال : "**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحـــق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**" [5].

ووجـــه الدلالـــة مـــن الحديث : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر باجتناب السحر، وعدَّه من المهلكات، واجتنابه يشمل كل شيء يتعلق به، فلا

---

(١)انظر : المغني ( ١٥٢/٨ ) .

(٢)انظر أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل ( ٧٤/١ ) .

(٣)سورة البقرة، الآية ١٠٢ .

(٤)انظر فتح القدير ( ١٨٥/١ )، وفتح البيان في مقاصد القرآن . ( ١/١٩٦ )

(٥)مـــتفق عليه . أخرجه البخاري في صحيحه ـــ مع الفتح ـــ (٣٩٣/٥)،رقم ( ٢٧٦٦ )، ومسلم في صحيحه ( ٩٢/١ ) رقم ( ٨٩ ) من حديث أبي هريرة، واللفظ هنا لمسلم .

نعتقده، ولا نعمل به، ولا نتعلمه .

وقد استدل الإمام الخازن بهذا الحديث على أنه يحرم تعلم السحر[1].

وفي صـــحيح مســـلم عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **"من أتى عَرَّافـــاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"** [2].

ووجـــه الدلالة أنه قال : **"من أتى عرَّافـــاً"**، وهذا يدخل فيه المجيء للتعلم، وغيره .

والعرَّاف : المنجم، أو الحازي الذي يدعي علم الغيب[3].

وقال الإمام أحمد : العرَّاف طرف من السحر[4].

وأمَّا مَنْ قال : إنه مكروه فلم أر- فيما اطلعت عليه - من يذكر له دليلاً. ولا أعرف له دليلاً.

ولعل هذا القائل يرى أن دلالة النصوص ليست صريحة في التحريم، كما أن ظاهرها يفيد المنع فقاده ذلك إلى هذا القول .

وأمَّا مَنْ قال : إن تعلم السحر مباح فأدلته ما ذكر الرازي، وقد نقضها ابن كثير كما رأيت، وتابعه على ذلك الآلوسي[5].

وقد يُحتج للرازي أيضـــاً بأن الملَكَين يُعلِّمان الناس السحر، فدل ذلك على

---

(١)انظر لباب التأويل في معاني التنـــزيل ( ٨٧/١ ) .

(٢)صحيح مسلم ( ١٧٥١/٤ )، كتاب السلام، ح ( ٢٢٣٠ ) .

(٣)انظر النهاية في غريب الحديث ( ٢١٨/٣ ) .

(٤)انظر فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ( ٤٩٣/٢ ) .

(٥)انظر روح المعاني ( ٣٣٩/١، ٣٤٠ ) .

أن التعلم والتعليم جائزان[1].

كذلك يحتج له بقول الحافظ ابن حجر : "وقد أجاز بعض العلماء تعلّم السحر لأحد أمرين : إمّا لتمييز ما فيه كفر من غيره، وإمّا لإزالته عمن وقع فيه، فأمّا الأول : فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعاً، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان؛ لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه والعمل به . وأما الثاني : فإن كان لا يتم — كما زعم بعضهم — إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً، وإلا جاز للمعنى المذكور"[2].

وبعد : فالذي ظهر لي - بعد هذا كله - أن القول بتحريم تعلم السحر هو القول الواضح البين، الذي لا ينبغي لمن أراد السلامة في دينه أن يحيد عنه، وذلك للأسباب الآتية :

١ — لصحة أدلة القائلين بالتحريم، وصراحتها في المنع، بل إن بعض العلماء قد فهم من بعض ظواهر هذه النصوص أن تعلم السحر كفر[3].

٢ — ضَعْف أدلة القائلين بالجواز، وقد تبيَّن لك ذلك بمناقشة ابن كثير لأدلة الرازي .

وأمَّا ما يمكن أن يستدل به للرازي — ولم يأت به هو — فهو أيضاً لا يخلو من ضعف . فتعليم الملكين للسحر لا يدل على جواز تعلمه؛ لأن الحق ما

---

(١)انظر المحرر الوجيز ( ٣٠٧/١ ) فقد ذكر قولاً يفيد أنه تعالى أنزل السحر على الملكين ليعلم على جهة التحذير منه والنهي عنه . قال ابن عطية :والتعليم على هذا القول إنما هو تعريف يسير بمبادئه، وانظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ( ٨٢/١، ٨٣ ) .

(٢)فتح الباري ( ٢٢٤/١٠، ٢٢٥ ) .

(٣)انظر المغني ( ١٥٢/٨ ) .

أذن الله فيه وأمر به، ولو كان في نفسه باطلاً، فهذان الملكان نزلا إلى الأرض ليعلّما الناس السحر، وتعليم السحر كفر، لكن الله عز وجل أباح لهذين الملكين أن يعلما الناس من أجل هذا الامتحان الذي حصل بتعليمهما، والشيء قد يكون كفرًا، وقد يكون طاعة، ولو كان واحدًا من نوعه، مثل السجود لغير الله كفر وشرك، وإذا سجد الإنسان لغير الله بأمر الله كان عبادة، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [1] فهنا السجود لغير الله طاعة وعبادة؛ لأن الله أمر به، ويكون شركـًا في الحالة التي لم يأمر الله به فيها[2].

وكذلك قصة الذبيح إسماعيل ــ عليه السلام ــ يقال فيها ما قيل في المثال السابق[3]. فتبين بهذا أن تعليم الملكين لا حجة فيه . والله أعلم .

أمَّا قول الإمام ابن حجر : إن بعض العلماء أجاز تعلّم السحر لأحد أمرين :

فالأمــر الأول وهــو التمييز، ليس بلازم؛ لأن السحر كله كفر فمتى أقرّ الساحر بسحره، أو شهد عليه عدلان قُتل على رأي الجمهور[4].

ثم يقــال : يمكن أن يُسأل عنه من تاب ورجع[5]، فإن لم يوجد سألنا عنه

---

(١)سورة البقرة، الآية : ٣٤ .

(٢)انظر أحكام من القرآن للشيخ العثيمين، ص ( ٣٧١ )، ونحو هذا الجواب ــ مختصرًا ــ قاله الإمام الطبري في تفسيره ( ٤٢٢/٢، ٤٢٣ ) .

(٣)انظر أحكام من القرآن للعثيمين، ص ( ٣٧١، ٣٧٢ ) .

(٤)انظر المغني ( ١٥٣/٨ ) .

(٥)قال الآلوسي : "إفتاء المفتي بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر؛ لأن صورة إفتائه ... إن شــهد عدلان عرفا السحر وتابا منه أنه يقتل غالبــًا، قتل الساحر، وإلا فلا" .روح المعاني ( ٣٤٠/١ ) .

الكفـــار، ويكـــون قبول قولهم فيه ضرورة، مثل قبول قولهم في الشهادة على الوصية حال السفر[1].

وأمَّـــا الأمر الثاني : وهو إزالته فليس بحجة لتعلمه؛ لأن إزالته تحصل بقراءة المعوذتين، وآية الكرسي، والدعاء . وقد ذكر الحافظ ــ نفسه ــ بعض الطرق التي يحصل بها فك السحر عن المسحور، دون الرجوع إلى من تعلّم السحر لهذا القصد[2].

٣ ــ وممـــا يدل على تحريم تعلم السحر أنه بتعلم السحر يكون ساحرًا، أو يقوده علمه بالسحر إلى عمل السحر .

أما الثاني : فلأن العلم يجر إلى العمل غالبـــًا[3].

وأمـــا الأول : فدل عليه أثر طويل، جاء عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ وفـــيه أن امرأة جاءت إثر موت النبي صلى الله عليه وسلم، تريد أن تسأله عن شـــيء من أمر السحر دخلت فيه و لم تعمل به، وفيه أنها لما عُلّمت خرج منها فارســـًا متقنّعـــًا بالحديد، وقيل لها : ذلك إيمانكِ خرج منك، ثم قالت لمن دلها علـــى المعلّـــم : والله مـــا علمتُ شيئـــًا وما قالاَ لي شيئـــًا . فقيل لها : بلى لن تريدي شيئـــًا إلاّ كان، خذي هذا القمح فابذري فبذرت، وقلت : أطلعي فأطلعـــت، وقلـــت : أحقلي فأحقلت، ثم قلت : أفركي فأفركت، ثم قلت : أيبسي فأيبست، ثم قلت : أطحني فأطحنت، ثم قلت : أخبزي فأخبزت . فلما رأيـــت أني لا أُريد شيئـــًا إلاّ كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين،

---

(١)هو قول بعض الأئمة، وآية المائدة صريحة في ذلك .

(٢)انظر فتح الباري ( ٢٣٣/١٠، ٢٣٤ ) .

(٣)انظر فتح البيان في مقاصد القرآن ( ٢٩٦/١ ) .

والله ما فعلت شيئـــاً قط، ولا أفعله أبدًا" (1).

فدل هذا الأثر على خطورة تعلم السحر .

وقد احتج به الإمام ابن قدامة على أن معنى قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (2) أي : لا تتعلم السحر فتكفر بذلك(3).

٤ ــ أن القـــول بإباحة تعلم السحر قول شاذ، ندر من قال به من العلماء، حـــتى إن الإمـــام ابـــن قدامة قال : "تعلم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافـــاً بين أهل العلم" (4).

وقال الحافظ ابن حجر : "وأما تعلّمه وتعليمه فحرام" (5) فأطلق التحريم و لم يقيّده بطائفة من العلماء(6).

٥ــ ومما يدل على تـــحريم تعلم السحر أن تعلمه يجر إلى الغواية - غالبـــاً - مثل تعلم الفلسفة، فإنها تجر غالبـــاً إلى الغواية، قال الزمخشري ــــ عند قوله تعالى : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ (7)ــ : "وفيه أن اجتنابه أصلح،

---

(١)أوردتُ هنا معناه مختصرًا، وقد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٤٣٩/٢ــ٤٤١ )، وابن أبي حاتم في التفسير ( ٣١٢/١، ٣١٣ )، والبيهقي في السنن الكبرى ( ١٣٧/٨ ) . وأورده ابن كثير في تفسيره ( ١٤٢/١، ١٤٣ ) وقال : هذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها .

(٢)سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .

(٣)انظر المغني ( ١٥٢/٨ ) .

(٤)المغني( ١٥١/٨ ).

(٥)فـــتح الـــباري ( ٢٢٤/١٠ )، وابن حجر من أئمة الشافعية الذين يُعد حكمهم في الساحر أخف الأحكام بالنسبة للأئمة الآخرين .

(٦)وأمـــا مـــا نقلـــه الحافظ من الجواز في حالتين ــ وقد تقدم نقل ذلك والجواب عنه ــ فلعل هؤلاء أيضـــاً يرون التحريم إلاّ في تلك الحالتين . فهو ضرورة مستثنى من حال التحريم .

(٧)سورة البقرة، الآية : ١٠٢ .

كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية" [١].

وقـــال النسفي ـــ عند هذا الجزء من الآية ـــ : "وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التي تجر إلى الغواية" [٢].

ونحو ما قال الزمخشري قاله أبو السعود[٣].

وقال الآلوسي : "فتحريمه ـــ يعني : تعلم السحر ـــ من باب سد الذرائع، وكم من أمر حُرّم لذلك، وفي الحديث : "**من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه**" [٤].

**١٠ – قال الإمام الرازي** ـــ عند قوله تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [٥]ـــ : "واعلم أن الناس اختلفوا في هذه الوصية، منهم من قال : كانت واجبة، ومنهم من قال : كانت ندبـــاً . واحتج الأولون بقوله : ﴿ **كُتِبَ** ﴾ وبقوله : ﴿ **عَلَيْكُمْ** ﴾ ، وكلا اللفظين ينبئ عن الوجوب، ثم إنه تعالى أكد ذلك الإيجاب بقوله : ﴿ **حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [٦] وهؤلاء اختلفوا .

---

(١)الكشاف (٣٠١/١).

(٢)مدارك التنـــزيل ( ٦٦/١ ) .

(٣)انظر إرشاد العقل السليم ( ١٤٠/١ ) .

(٤)روح المعاني ( ٣٣٩/١، ٣٤٠ ) والحديث الذي أورده الآلوسي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ـــ مع الفتح ـــ ( ١٢٦/١ ) كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح ( ٥٢ )، والإمام مسلم في صحيحه ( ١٢١٩/٢، ١٢٢٠ ) كتاب المساقاة، ح ( ١٥٩٩ ) .

(٥)سورة البقرة، الآية : ١٨٠ .

(٦)سورة البقرة، الآية : ١٨٠ .

منهم من قال : هذه الآية صارت منسوخة، ومنهم من قال : إنها ما صارت منسوخة . وهذا اختيار أبي مسلم الأصفهاني[1]. وتقرير قوله من وجوه . أحدها : أن هذه الآية ما هي مخالفة لآية المواريث، ومعناها كُتب عليكم ما أوصى به الله تعالى من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ [2] أو كتب على المحتضر[3] أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم، وألاّ ينقص من أنصبائهم . وثانيها : أنه لا منافاة بين ثبوت الميراث للأقرباء مع ثبوت الوصية بالميراث عطية من الله تعالى، والوصية عطية ممن حضره الموت، فالوارث جُمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين . وثالثها : لو قدّرنا حصول المنافاة لكان يمكن جعل آية الميراث مخصصة لهذه الآية؛ وذلك لأن هذه الآية توجب الوصية للأقربين، ثم آية الميراث تخرج القريب الوارث، ويبقى القريب الذي لا يكون وارثاً داخلاً تحت هذه الآية، وذلك لأن من الوالدين من يرث، ومنهم من لا يرث؛ وذلك بسبب اختلاف الدِّين والرق والقتل، ومن الأقارب الذي لا يسقطون في فريضة من لا يرث بهذه الأسباب الحاجبة[4]، ومنهم من يسقط في حال، ويثبت في حال، إذا كان في الواقعة من هو أولى بالميراث منهم، ومنهم من يسقط في كل حال إذا كانوا

---

(١)محمد بن بحر الأصفهاني أبو مسلم، معتزلي من كبار الكتاب، من كتبه "جامع التأويل في التفسير" و "الناسخ والمنسوخ" (ت : ٣٢٢هـ) انظر طبقات المفسرين للداودي ( ١٠٩/٢، ١١٠ )، والأعلام ( ٥٠/٦ ) .

(٢)سورة النساء ، الآية : ١١ .

(٣)في النسخة المنقول عنها "المختصر "، وكذلك هي في نسخة أُخرى، والصواب ما أثبت .

(٤)في النسخة المنقول عنها "الحاجية "، والتصحيح من نسخة أُخرى .

ذوي رحم فكل من كان من هؤلاء وارثـاً لم يجز الوصية له، ومن لم يكن وارثـاً جازت الوصية له؛ لأجل صلة الرحم، فقد أكد الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [(1)]، وبقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [(2)]فهذا تقرير مذهب أبي مسلم في هذا الباب" [(3)].

ونبَّه الإمام ابن كثير على حكاية الرازي عن أبي مسلم أن الآية ليست بمنسوخة، وجعل ذلك مما يدعو إلى العجب فقال ــ بعد أن ذكر أن هذه الآية منسوخة ــ : "والعجب من أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ــ رحمه الله ــ كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الأصفهاني أن هذه الآية غير منسوخة، وإنما هي مفسَّرة بآية المواريث، ومعناه كتب عليكم ما أوصى الله به من توريث الوالدين والأقربين من قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ﴾ [(4)] قال : وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء . قال : ومنهم من قال : إنها منسوخة فيمن يرث ثابتة فيمن لا يرث، وهو مذهب ابن عباس، والحسن، ومسروق، وطاوس، والضحاك، ومسلم بن يسار، والعلاء بن زياد" [(5)].

---

(١)سورة النساء، الآية : ١ .

(٢)سورة النحل، الآية : ٩٠ .

(٣)التفسير الكبير ( ٥/٥٣ ) .

(٤)سورة النساء، الآية : ١١ .

(٥)تفسير القرآن العظيم ( ١/٢١٢ ) .

هذه المسألة البحث فيها من وجوه :

الأول : أعتذر للقارئ من إطالة النقل ـ خصوصـاً عند نقل كلام الرازي ـ وكان يمكن تلخيص كلام الإمامين بأقل من هذا بكثير، أو نقل مواطن يسيرة من كلامهما تدل على المقصود .

إلاّ أن الذي دعاني إلى هذه الإطالة أن الإمام ابن كثير ـــ على غير عادته ـــ قد تساهل في نقل كلام الرازي في موطنين :

أ ـــ أنه نسب للرازي أنه قال : إن أبا مسلم قال : هذه الآية غير منسوخة . فجعل أصل القول له . والذي في تفسير الرازي ـــ الذي اطلعت عليه ـــ أن أبا مسلم اختار أحد القولين، وهو قول من يرى عدم النسخ .

وفرق بين اختيار قول قد قيل، وبين إنشائه وابتداعه .

ب ـــ أن الإمام ابن كثير أعقب ـــ بعض ـــ تقرير الرازي لقول أبي مسلم بالنقل عن الرازي أنه قال : "وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء" وهذا لا يمكن رجوعه ـ في سياق كلام ابن كثير ـ إلاّ إلى أنه من قول الرازي وصفاً لاختيار أبي مسلم . والرازي لم يقل هذا عند تقريره لاختيار أبي مسلم، وإنما قاله عند قول القائلين بأن آية الوصية صارت منسوخة، ونصّ كلامه أن قال : "البحث الثاني : القائلون بأن هذه الآية صارت منسوخة اختلفوا على قولين : منهم من قال : إنها صارت منسوخة في حق من يرث، وفي حق من لا يرث، وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء . ومنهم من قال : إنها منسوخة فيمن يرث ثابتة فيمن لا يرث، وهو مذهب ابن عباس، والحسن البصري، ومسروق، وطاوس، والضحاك، ومسلم بن يسار، والعلاء بن

زياد ... " [1].

وكل باحث منصف لا يتهم الإمام ابن كثير أنه تعمد هذا . أما ما ذُكر في فقرة ( أ ) فالإشكال فيه يسير؛ لأن من اختار قولاً فقد قال به، ويُعد في عداد المنشئين له، فإذا قيل : قاله، بدلاً من اختاره، فالخطب في ذلك يسير .

ولا يبعد أن أصل هذا القول لأبي مسلم، فإنني لم أجد ــ فيما اطلعت عليه ــ من ينسبه لغيره من المتقدمين بهذه الطريقة أعني قوله : إنها مفسّرة بآية المواريث[2].

ومعروف حال الرجل فإنه قد اشتط في مسألة النسخ فأنكر أن يكون في القرآن نسخ، وهذا على حسب ما اشتهر عنه في دواوين العلم[3].

وأما ما جاء في فقرة ( ب ) فبالإضافة إلى ما ذكرت سابقاً من أنه لا يمكن أن يتعمد هذا، وإنما حصل عن طريق السهو يقال : لا يبعد أن الإمام ابن كثير قد ذكر قول القائلين بالنسخ ــ نقلاً عن الرازي ــ ثم أعقبه بما ذكر من أنه قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء . فسقط هذا من النسخ التي

---

(١)التفسير الكبير ( ٥/٥٤ ) .

(٢) لم أجد ــ فيما لدي من المراجع ــ نصاً صريحاً عن أبي مسلم أنه يقول : إن آية الوصية مفسرة بآية المواريث، إلا ما يُفهم من توجيه الرازي لرأي أبي مسلم، فيغلب على الظن أن هذا التوجيه أصله لأبي مسلم، بدليل أن الزمخشري ــ الذي يعتني برأي المعتزلة ــ قد ذكره أيضاً . انظر الكشاف ( ١/٣٣٤ ) .

(٣)انظر الإبهاج في شرح المنهاج ( ٢/٢٢٧، ٢٢٨ )، وشرح البدخشي لمنهاج الأصول ( ٢/٢٣٥ )، ونزهة الخاطر العاطر ( ١/١٩٩ )، وفتح الباري ( ٨/٢٤٥ ) وعبارة الحافظ : "ولم ينقل ذلك عن أحد من المسلمين ــ يعني إنكار النسخ ــ إلا عن أبي مسلم الأصبهاني صاحب التفسير فإنه أنكر النسخ مطلقاً" .
وانظر مناهل العرفان ( ٢/١٠٣ )، والنسخ في القرآن دراسة تشريعيّة تاريخية ( ١/٢٧٤، ٢٧٥ ) .

وصلت إلينا، فتركب الكلام بالصورة التي رأيت[1].

الـــثاني ـــ من وجوه البحث في هذه المسألة ـــ : لا أرى أن هناك ما يدعو إلى العجب من نقل الرازي لقول أبي مسلم . وذلك للأسباب الآتية :

١ ـــ أن قول أبي مسلم قد وُجد وقيل، فكيف يُغفله الباحث ؟ . إن الرازي لـــو ترك ذكر هذا القول لعُد ذلك نقصاً في بحث المسألة؛ لأن الأصل أن يأتي بكل الأقوال صحيحها وسقيمها .

قـــال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ مستحسنـــاً لطريقة القرآن في ذكر جميع الأقـــوال في عـــدد أصـــحاب الكهف ـــ : "فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخـــلاف أن تســـتوعب الأقوالِ في ذلك المقام، وأن ينبّه على الصحيح منها، ويبطل الباطل" [2].

٢ ـــ مـــن العلماء من شارك الرازي في ذكر نحو هذا القول، إلاّ يكنه مثل الزمخشـــري[3]، وعبد الرحمن السعدي[4]، والآلوسي[5]، والقاسمي[6]ـــ إِلاّ أن أحـــدًا من هؤلاء لم ينسبه لأبي مسلم[7]ـــ فلو كان فيه ما يدعو إلى السكوت عن ذكره لفعله هؤلاء أو أحدهم .

---

(١)علمـــاً أنني راجعت كلام ابن كثير في أكثر من نسخة من تفسيره المطبوع فوجدت أن النص كما نقلت هنا .

(٢)انظر مقدمة في أصول التفسير، ص ( ٩٦ ) .

(٣)انظر الكشاف ( ٣٣٤/١ ) .

(٤)انظر تيسير الكريم المنان ( ١٤٢/١ ) .

(٥)انظر روح المعاني ( ٥٤/٢ ) .

(٦)انظر محاسن التأويل ( ٤٥٥/١ ) .

(٧)والنيســـابوري قد جاء بهذا القول ونسبه لأبي مسلم، إلاّ أن من المعلوم أنه نقله من التفسير الكبير، وإن لم ينص على ذلك . انظر غرائب القرآن ( ١٥٨/١ ).

٣ ــ إن كـــان تعجب ابن كثير من الرازي لأنه وصف قول أبي مسلم بأنه قـــول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء ــ كما يدل عليه سياق كلامه في تفسيره ــ فلم يقله الرازي، كما بينت ذلك سابقـــاً .

٤ ــ إن كـــان تعجب ابن كثير من تقرير الرازي لقول أبي مسلم، فالرجل معـــذور؛ لأن كلامه يدل على أنه يميل إلى عدم النسخ(١)، وهو قول قد قال به أئمة من أهل السنة(٢).

الثالث ــ من وجوه البحث في هذه المسألة ــ اختلف العلماء في آية الوصية هذه اختلافـــاً تستطيع أن تصفه بأنه كبير؛ لأنهم اختلفوا في أصل الوصية أهي واجـــبة أم مـــندوبة ؟(٣) ، ثم الذين قالوا بوجوبها ــ قال ابن كثير: وهو أصح القـــولين(٤)ـــ اختلفوا هل هي منسوخةأم محكمة؟(٥) ، ثم الذين قالوا بالنسخ اختلفوا هل جميع القرابات نُسخت الوصية لهم أو النسخ خاص بمن يرث ؟(٦) ثم علـــى القـــول بالنسخ هل الناسخ لها آية المواريث في سورة النساء ؟(٧) أو

---

(١)انظر التفسير الكبير ( ٥/٥٣، ٥٤ ) .

(٢)منهم الطبري في تفسيره ( ٣/٣٨٥ )، وأبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ( ١/٤٨٥ ) .

(٣)انظر أحكام القرآن للجصاص ( ١/٢٠٢، ٢٠٣ ) .

(٤)انظر تفسير القرآن العظيم ( ١/٢١٢ )، وانظر أيضـــاً زاد المسير ( ١/١٨٢).

(٥)انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٢/٢٦٢ ) .

(٦)انظر النكت والعيون ( ١/٢٣٢ ) .

(٧)يعـــني قوله : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾ .انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ( ١/٤٨٣ )، ومنهم مـــن يقـــول : نسخها قوله: ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ...** ﴾ انظر المرجع السابق ( ١/٤٨٢ )، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلاّم (٢٣٠، ٢٣١).

الناسخ لها حديث : "**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**"[١]، ثم الـــذين يقولـــون : إنها محكمة اختلفوا فمنهم من يقول : إن الآية مخرجها العمـــوم، ومعـــناها الخصـــوص[٢]، ومنهم من يقول : إنها مجملة وفسرتها آية المـــواريث[٣]، ومـــنهم من يقول : تخرّج على أن الوارث جُمع له بين الوصية والإرث[٤].

والحاصـــل مـــن هذا كله أن آية الوصية في نسخها قولان معروفان، النسخ وعدمه ، ويؤيّد الثاني أشياء منها :

١ ــ أن الأصل عدم النسخ .

٢ ــ مـــن المقرّر في الأصول أنه لا يُذهب إلى القول بالنسخ إلاّ إذا لم يمكن الجمع بين الدليلين، والجمع ممكن بين آية الوصية وآية المواريث[٥].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : "واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه

---

(١)انظـــر الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر ( ١/٤٨٠، ٤٨١ )، والحديث أخرجه أبو داود في السنن ( ٣/ ١١٤ ) كـــتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث، ح ( ٢٨٧٠ )، والترمذي ( ٤/٤٣٣ ) كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث، ح( ٢١٢٠ ) وقال أبو عيسى : وهو حديث حسن صـــحيح . وأخـــرجه أيضـــاً ابن ماجه ( ٢/٩٠٥ ) كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، ح ( ٢٧١٣ ) كلهم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .
وأخـــرجه الإمام أحمد في المسند ( ٤/١٨٦ ) من حديث عمرو بن خارجة . وهذا الخبر يرى الإمام الشافعي أنه من نقل العامة عن العامة . انظر الرسالة، ص ( ١٣٩ ) .

(٢)انظر المحرر الوجيز ( ٢/٦٨ ) .

(٣)قد تقدمت الإشارة إلى أن القائل بذلك أبو مسلم، ونحو هذا قال بعض المتأخرين .

(٤)لا أفهـــم هذا القول مع قوله صلى الله عليه وسلم : "لا وصية لوارث" وفي كلام مكي ما يفيد أن الحديث يرد هذا التخريج . انظر الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ( ١٤١ ) .

(٥)انظر الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ( ٤/١١٤ ) .

الآيــة منســـوخة بآية المواريث . وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الـــوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل . والأحسن في هذا أن يقال : إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردّها الله إلى العرف الجاري . ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيــات المـــواريث ( بعد أن كان مجملاً )[1]وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الـــوالدين الممـــنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنســـان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره . وهذا القول تتفق عليه الأمة ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين؛ لأن كلاًّ من القائلين بهما ـــ كل منهم ـــ لحظ ملحظـــاً واختلف المورد"[2].

إذًا يدعم القائلين بعدم النسخ أنه الأصل، وتؤيده قواعد الأصول، وفيه جمع بين الأدلة .

ويؤيد الأول ـــ أعني أن آية الوصية منسوخة ـــ : أنه قول جمهور العلماء، نص على ذلك جماعة من العلماء[3].

بل قد حكى بعض العلماء الإجماع على نسخ آية الوصيّة[4].

وأيضـــاً قد ثبت في صحيح البخاري عن حبر الأمة وترجمان القرآن ـــ ابن

---

(١)في النسخة المنقول عنها : "بعد أن مجملاً" والتصحيح من نسخة أخرى .

(٢)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ( ١/١٤٢ ) .

(٣)انظـــر أحكـــام القرآن للإمام الشافعي ( ١/١٤٩ )، ومعالم التنـــزيل (١/١٤٧)،والنكت والعيون ( ١/٢٣٢ )، ولـــباب التأويل في معاني التنـــزيل (١/١٤٩) ،وروح المعاني ( ٢/٥٤ ) . وقد نص السعدي فيما تقدم نقله أنه قول جمهور المفسرين.

(٤)انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ١/٢٥٠، ٢٥١ ) .

عباس رضي الله عنهما ــ أن الآية يدخلها النسخ[1].

---

(١)انظر صحيح البخاري ــ مع الفتح ــ ( ٢٤٤/٨ )، كتاب التفسير، ح ( ٤٥٧٨ ).

## الخاتمــة :

**أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث :**

١ ــ جاءت تنبيهات الإمام ابن كثير على جزء يسير من أوّل التفسير الكبير، حيث لم تتجاوز الآية (١٨٠) من سورة البقرة، وقد وقف نقل الإمام ابن كثير ــ من التفسير الكبير ــ عند هذه الآية . ولا أدري ما سبب عدم استمرار الإمام ابن كثير في النقل، ولعل الإمام ابن كثير لا يملك من الكتاب إلا هذا الجزء، أو لم يطلع إلاّ على هذا الجزء . ولو استمر الإمام ابن كثير على التنبيه إلى آخر الكتاب لكان قد أحسن إلى صاحب الكتاب، وإلى جميع الباحثين في تفسير القرآن الكريم، وإن كان قد أحسن على كل حال رحمه الله تعالى .

٢ ــ نقل الإمام ابن كثير عن التفسير الكبير في أكثر من أربعين موضعاً في أول تفسيره، نبّه على عشرة مواضع منها، وسكت عن الباقي، أو تابع فيها الإمام الرازي .

٣ ــ التزم الإمام ابن كثير ــ على عادته ــ الأدب فيما نبَّه فيه على التفسير الكبير، فلم أره يأتي بلفظ فيه تجريح، وإنما يبيّن قيمة القول، دون المساس بالقائل، وكم نحن بحاجة إلى الاقتداء به ــ رحمه الله تعالى ــ في هذه الناحية وفي غيرها .

٤ ــ ذكر الإمام ابن كثير حجته في أكثر التنبيهات، واكتفى في بعضها بقوله : فيه نظر، أو نحو هذه العبارة، وهو فيما ذكر فيه حجته ودليله لا يكثر حشد الأدلة، إلاّ في موضعين الأول : في الرد على الرازي في قوله : إن

قصار السور قد لا تبلغ حد الإعجاز . والثاني : في الرد على الرازي في قوله :بجواز تعلم السحر .وكأنَّ الإمام ابن كثير أحس خطورة المسألتين .

٥ ــ بلغــت هذه التنبيهات ــ حسب النسخة التي اعتمدت عليها في القراءة والنقل ــ عشرة، كان الصواب فيما ظهر لي مع الإمام ابن كثير في تسعة منها، ومع الإمام الرازي في واحد .

٦ ــ أكثر هذه التنبيهات في قضايا مهمة، وبعضها أهمّ من بعض، وأذكر لك ملخــص موضوعاتها. فالتنبيه الأول : يتعلق بدليل يرى ابن كثير أنه لا يــدل لقائلــه، والثاني : يتعلق بفضائل بعض الآيات، والثالث : يتعلق بالمفاضــلة بــين الرسالة والعبودية، والرابع : يتعلق بتصويب معنى - في الآيــة - على آخر، والخامس : يتعلق بمسألة إعجاز قصار سور القرآن الكــريم، والســادس : يتعلق بتصويب معنى ــ في الآية ــ على آخر، والسابع : يتعلق بتضعيف أثر نُقل في معنى بعض الآيات، والثامن : يتعلق بتصــويب قــول ــ في الآية ــ على آخر، والتاسع : يتعلق بحكم تعلّم السحر، والعاشر : يتعلق بمسألة في النسخ .

٧ ــ بعض هذه التنبيهات ينصب على ما في التفسير الكبير بصرف النظر عن كون الإمام الرازي يقول به، أو لا، وأكثرها فيما قد تبنّاه الرازي وذهب إلــيه؛ ولأجــل ما ذكر في أوّل هذه الفقرة أُختير العنوان المذكور لهذا البحث على غيره .

## فهرس المصادر والمراجع:


١- **القرآن الكريم** .

٢- **الإبهاج في شرح المنهاج**، لعلي السبكي وولده عبد الوهاب . دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .

٣- **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، تحقيق : محمد شريف سكر، ومصطفى القصاص . دار إحياء العلوم، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .

٤- **الإحكام في أصول الأحكام**، لابن حزم . منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت .

٥- **أحكام القرآن**، للجصاص، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي . دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦- **أحكام القرآن**، للشافعي (جمعه البيهقي)، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق . دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ .

٧- **أحكام من القرآن**، للعثيمين، جمع عبد الكريم بن صالح المقرن . الناشر : دار طويق، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ .

٨- **إرشاد العقل السليم إلى مزايات القرآن الكريم**، لأبي السعود . الناشر :دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩- **استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره**، لأحمد عمر عبد الله - رسالة دكتوراه - مضروبة على الآلة الكاتبة . محفوظة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية، تحت رقم ( ٢١٢/٣/أ ل أ ) .

١٠- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، لمحمد الأمين الشنقيطي . عالم الكتب، بيروت .

١١- **إعجاز القرآن**، للباقلاني، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر . مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ .

١٢- **الأعـــلام**، لخير الدين الزركلي . دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م .

١٣- **الإكســـير في علم التفسير**، لسليمان بن عبد القوي الصرصري، تحقيق عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز .

١٤- **الإمام ابن كثير المفسر**، لأحمد مسفر الزهراني - رسالة ماجستير - مضروبة علـــى الآلة الكاتبة، محفوظة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية، تحت رقم ( ٢١٢/٩/ز هـــ أ ) .

١٥- **إنـــباء الغمر بأنباء العمر**، لابن حجر، تحقيق : حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، ١٣٨٩هـــ .

١٦- **الإنصـــاف فـــيما تضمنه الكشاف من الاعتزال**، لأحمد الإسكندري. دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـــ.

١٧- **الإنصـــاف في مســـائل الخـــلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، لأبي البركات الأنباري . المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـــ .

١٨- **أنـــوار التنـــزيل وأسرار التأويل**، للبيضاوي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـــ .

١٩- **الإيضـــاح لناســـخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه**، لمكّـــي بن أبي طالب، تحقيق : أحمد حسن فرحات . دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ .

٢٠- **بحـــر العلـــوم**، لأبي اللـــيث السمرقندي، تحقيق : علي محمد، وعادل أحمد، وزكـــريّا عـــبد المجيد . دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـــ .

٢١- **البحر المحيط**، لأبي حيان، تحقيق : عادل أحمد، وعلي محمد معوض، وزكريّا عـــبد المجـــيد، وأحمد النجولي . دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ .

٢٢- **بدائـــع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**، جمع وتوثيق : يسري السيد محمد . دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .

٢٣- **البداية والنهاية**، لابن كثير .مكتبة المعارف، بيروت،الطبعة الثانية، ١٩٧٧م .

٢٤- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، للشوكاني . دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .

٢٥- **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ .

٢٦- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، للفيروزآبادي، تحقيق : محمد علي النجار . المكتبة العلمية، بيروت ــ لبنان .

٢٧- **بيان إعجاز القرآن**، للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق : محمد خلف الله، ومحمد زغلول . دار المعارف بمصر .

٢٨- **تـــاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعـــلام** (حـــوادث ووفيات ٦٠١-٦١٠هـــ) للذهبي، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري . الناشر : دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ .

٢٩- **تـــاريخ الثقات**، للعجلي، تحقيق : عبد المعطي قلعجي . دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .

٣٠- **تاريخ الطبري** (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير . دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .

٣١- **تاريخ مختصر الدول**، لابن العِبْريّ . المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ــ لبنان .

٣٢- **التبـيان في إعراب القرآن**، للعكبري، تحقيق : محمد البجاوي . عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٣٣- **التحرير والتنوير**، لابن عاشور . الطبعة التونسية .
٣٤- **ترتيب القاموس على طريق المصباح المنير وأساس البلاغة**، للطاهر أحمد الزاوي . دار الفكر،الطبعة الثالثة.
٣٥- **التسهيل لعلوم التنزيل**، لابن جُزيّ الكلبي، تحقيق : محمد عبد المنعم، وإبراهيم عطوة . الناشر : أم القرآن للطباعة والنشر، القاهرة .
٣٦- **التصوف بين الحق والخلق**، لمحمد فهر شقفة . الدار السلفية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ .
٣٧- **تفسير غريب القرآن**، لابن قتيبة، تحقيق : أحمد صقر . دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ .
٣٨- **تفسير القرآن**، لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق : مصطفى مسلم . مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .
٣٩- **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير . دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ .
٤٠- **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين**، لعبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق : أحمد الزهراني، وحكمت بشير . الناشر : مكتبة الدار، ودار طيبة، ودار ابن القيم، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ .
٤١- **التفسير الكبير**، للرازي . دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .
٤٢- **تفسير كتاب الله العزيز**، لهود بن محكّم، تحقيق : بلحاج بن سعيد شريفي . دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م .

٤٣- **التفسير والمفسّرون**، لمحمد حسين الذهبي . دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ .

٤٤- **تقريب التهذيب** ، لابن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد عوَّامة . دار البشائر الإسلامية، ودار الرشيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .

٤٥- **تهذيب اللغة**، لأبي منصور الأزهري، تحقيق : عبد السلام هارون وآخرين . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٤٦- **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير**، لمحمد نسيب الرفاعي . مكتبة المعارف،الرياض، ١٤١٠هـ .

٤٧- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، لعبد الرحمن السعدي، تقديم : محمد زهري النجّار . مطبعة المدني، ١٤٠٨هـ .

٤٨- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير . توزيع دار التربية والتراث، مكة المكرمة .

٤٩- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، لابن جرير الطبري، تحقيق : أحمد ومحمود شاكر . دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية .

٥٠- **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي، تحقيق : إبراهيم اطفيش . دار الكتب المصرية .

٥١- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، للثعالبي، تحقيق : عمّار الطالبي . المؤسسة الوطنية للكتاب .

٥٢- **حسن المحاضرة**، للسيوطي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ .

٥٣- **الدارس في تاريخ المدارس**، للنعمي، تحقيق : صلاح الدين المنجد . دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ .

٥٤- **الـــدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر، تحقيق : محمد سيد جاد الحق . دار الكتب الحديثة .
٥٥- **الـــدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، تحقيق : أحمد محمد الخراط . دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ .
٥٦- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي . تصوير : دار المعرفة، بيروت ـــ لبنان .
٥٧- **الرسالة**، للإمام الشافعي، تحقيق : أحمد بن محمد شاكر . دار الكتب العلمية، بيروت .
٥٨- **الرسالة الشافية**، للجرجاني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق : محمد خلف الله،ومحمد زغلول . دار المعارف بمصر .
٥٩- **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، للصابوني . عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـــ .
٦٠- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للآلوسي . دار الفكر، ١٤٠٨هـــ .
٦١- **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي . المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـــ .
٦٢- **سنن ابن ماجه**، لابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر .
٦٣- **سنن أبي داود**، لأبي داود، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد . دار الفكر .
٦٤- **ســـنن الترمذي**، للترمذي، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض . دار إحياء التراث العربي، بيروت ـــ لبنان .
٦٥- **السنن الكبرى**، للبيهقي . دار المعرفة، بيروت .

٦٦- **سـنن النسـائي**، للنسـائي، باعتناء عبد الفتاح أبو غدة . الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .
٦٧- **سـير أعـلام النبلاء**، للذهبي، تحقيق : جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ .
٦٨- **شـذرات الـذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي . عنيت بنشره مكتبة القدسي، سنة ١٣٥١هـ.
٦٩- **شـرح البدخشي لمنهاج الأصول**، للبدخشي . دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .
٧٠- **صـحيح الـبخاري ـ مع فتح الباري ـ**، للإمام البخاري . الناشر : دار المعرفة، بيروت ـ لبنان .
٧١- **صـحيح مسـلم**، للإمام مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي .
٧٢- **ضـعيف سنن النسائي**، للألباني . المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .
٧٣- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، للسخاوي، منشورات مكتبة الحياة .
٧٤- **طـبقات الشـافعية**، لابن قاضي شهبة الدمشقي، تعليق : الحافظ عبد العليم خان . عالم الكتب،الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .
٧٥- **طبقات الشافعية الكبرى**، لعبد الوهاب السبكي، تحقيق : عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي . دار إحياء الكتب العربية .
٧٦- **طـبقات المفسـرين**، للأدنه وي، تحقيق : سليمان الخزي . الناشر : مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ .
٧٧- **طبقات المفسرين**، للداودي . دار الكتب العلمية، بيروت .

٧٨- **طـبقات المفسـرين**، للسـيوطي، تحقيق : علي محمد عمر .مطبعة الحضارة العربية، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٧٩- **العـبر في خبر من غبر**، للذهبي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني . دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .

٨٠- **عمـدة الحفّـاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للسمين الحلبي، تحقيق : محمد التونجي . عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .

٨١- **عـيون الأنـباء في طبقات الأطبّاء**، لابن أبي أُصَيْبِعَه . إصدار : دار الفكر، بيروت، ١٣٧٧هـ .

٨٢- **غـرائب التفسير وعجائب التأويل**، لمحمود بن بن حمزة الكرماني، تحقيق : شمـران سـركال . دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

٨٣- **غـرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين النيسابوري ـ بحاشية تفسير ابن جرير ـ . المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ .

٨٤- **غريب القرآن وتفسيره**، لليزيدي، تحقيق : محمد سليم الحاج . عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .

٨٥- **فـتح الـباري شـرح صحيح البخاري**، لابن حجر . دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان .

٨٦- **فتح البيان في مقاصد القرآن**، لصديق حسن خان . دار الفكر العربي .

٨٧- **فـتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشوكاني، تحقـيق : عـبد الـرحمن عميرة .دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

٨٨- **فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد**، لعبد الرحمن بن حسن، تحقيق : الوليد بن عبد الرحمن آل فريان . دار العصيمي للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ .

٨٩- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم . دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، ١٤٠٦هـ .

٩٠- **الفصول في اختصار سيرة الرسول**، تحقيق : محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو . مؤسسة علوم القرآن، ودار القلم، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ــ١٤٠٠هـ .

٩١- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، تحقيق : محمد يوسف الدقاق . دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .

٩٢- **كتاب الجرح والتعديل**، لعبد الرحمن بن أبي حاتم . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، تصوير : دار الكتب العلمية .

٩٣- **كتاب العقائد**، لابن كثير . مخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة برقم ( ٢٣٩ )، ضمن مجموعة ( ١٦ ) .

٩٤- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري . درا الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ .

٩٥- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، للخازن . دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

٩٦- **لسان العرب**، لابن منظور، تعليق : علي شيري . دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

٩٧- **لسان الميزان**، لابن حجر . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ .

٩٨- **مجمــوع فــتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، لابن تيمية، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . المطبوعة على نفقة الملك خالد رحمه الله تعالى .

٩٩- **محاســن الــتأويل**، للقاسمي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

١٠٠- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية، تحقيق : المجلس العلمي بفاس، ١٤١٣هـ .

١٠١- **مــدارك الــتنزيل وحقائق التأويل**، للنسفي . الناشر : دار الكتاب العربي، بيروت ــ لبنان .

١٠٢- **مــرآة الجــنان وعــبرة الــيقظان**، لليافعي . منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ .

١٠٣- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم . تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .

١٠٤- **المسند**، للإمام أحمد . تصوير : المكتب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ .

١٠٥- **المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد**، لابن الجزري . مطبوع في بداية منسد الإمام أحمد، الذي حققه أحمد شاكر . دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٧٣هـ .

١٠٦- **معــالم التنزيل**، للبغوي، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار . دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ .

١٠٧- **معــاني القــرآن وإعرابه**، للزجاج، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي . عالم الكتب، بيروت ــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .

١٠٨- **معجــم البلدان**، لياقوت الحموي، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي . دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .
١٠٩- **معجــم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، للبكري الأندلسي، تحقيق : مصطفى السَّقّا . عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ .
١١٠- **المعجــم المخــتص بالمحدثين**، للذهبي، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة . مكتبة الصديق بالطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ .
١١١- **المغني**، لابن قدامة . مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠١هـ .
١١٢- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، لطاش كبرى زادة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .
١١٣- **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني دار المعرفة، بيروت .
١١٤- **مقدمة في أصول التفسير**، لابن تيمية . دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .
١١٥- **مــناهل العــرفان في علوم القرآن**، لمحمد عبد العظيم الزرقاني . دار إحياء الكتب العربية .
١١٦- **ـ موسوعة فضائل سور وآيات القرآن**، لمحمد بن زرق بن طرهوني . دار ابن القيم بالدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .
١١٧- **موقــف ابــن تيمية من الأشاعرة**، لعبد الرحمن المحمود . الناشر : مكتبة الرشد، الرياض،الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .
١١٨- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للذهبي، تحقيق : علي محمد البجاوي . دار المعرفة، بيروت .

١١٩- **الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن**، للقاسم ابـــن سلاّم، تحقيق : محمد بن صالح المديفر . مكتبة الرّشد بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ .
١٢٠- **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك**، لأبي جعفـــر الـــنحاس، تحقيق : سليمان بن إبراهيم اللاحم . مؤسسة الرسالة، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
١٢١- **الـــنجوم الزاهـــرة في ملوك مصر والقاهرة**، لابن تَغْري بَرْدي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .
١٢٢- **نزهة الخاطر العاطر**، لعبد القادر بدران . دار الكتب العلمية، بيروت .
١٢٣- **النسخ في القرآن دراسة تشريعية تاريخية**، لمصطفى زيد . الناشر : دار الفكر العربي،الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ .
١٢٤- **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين البقاعي . طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند . الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ .
١٢٥- **النكت في إعجاز القرآن**، للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق : محمد خلف الله، ومحمد زغلول . دار المعارف بمصر .
١٢٦- **النكت والعيون**، للماوردي، تحقيق : السيد بن عبد المقصود . درا الكتب العلمـــية، مؤسســـة الكـــتب الثقافـــية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ .
١٢٧- **نهايـــة الإيجاز في دراية الإعجاز**، للرازي، تحقيق : بكري شيخ أمين . دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م .
١٢٨- **الـــنهاية في غـــريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق : طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي .المكتبة العلمية، بيروت .

١٢٩- **هديـــة العـــارفين** (أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين)، لإسماعيل باشا البغدادي، مكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي، بطهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ .

١٣٠- **الـــوافي بالوفيات**، للصفدي . يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ .

١٣١- **الوســـيط في تفســـير القرآن المجيد**، للواحدي، تحقيق : عادل أحمد، وعلي محمـــد، وأحمد محمد، وأحمد عبد الغني، وأحمد عويس . دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .

١٣٢- **الوســـيط في علوم ومصطلح الحديث**، لمحمد أبو شهبة . عالم المعرفة بجدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ .

١٣٣- **وفيات الأعيان وأنباء أبناءِ الزمان**، لابن خلكان، تحقيق : إحسان عباس . دار صادر،بيروت، ١٣٩٧هـ .